لقد كان وقع الصدمة شديداً على المستوى العام والمستوى الشخصي . وكانت فجاءة الرحيل صاعقة أصابت الجميع بالذهول . ورغم الإيمان العميق بأن الموت حق . إلا أن طوفان الحزن الجارف اكتسح أمامه كل سدود الصبر . وكل حدود التماسك . لقد تصدع ودون مقدمات . ركن ركين . يساند ويحمي . ويصون ويدعم . يحمل العبء عن الجميع . يقود المسيرة في بحر متلاطم الموج . ويتقدم الصفوف بشجاعة الفرسان . وفروسية الشجعان . الذين لا يهابون ولا يترددون . يحمل في وجدانه تراثاً انحدر من أجداد أفذاذ . كانوا من أعظم البناة في تاريخ الخليج . ويحمل بين جنبيه همة قائد . وزعيم . وأب . وحاكم . وأمير . وهي همة لا تعرف الوهن ولا تعرف الفتور .

عرفته عمراً طويلا . بل أكاد أقول عرفته العمر كله . فعرفت فيه رجلاً من أغلى الرجال . وأعز الرجال . وأحكم الرجال . وأكرم الرجال . يسع قلبه الكبير كل أبناء شعبه على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم . ويسع عقله الكبير أعتى المشاكل وأصعبها في وعي عميق . وفي ذكاء فذ ومشهود . فإذا هي وقد اشتدت قد حلت . بما يرضي الجميع . وبما يضع النقاط فوق الحروف . في حسم مغلف بالحب . وفي حزم محوط بالعطف الأبوي . الذي ينسكب بلسماً على قلوب الجميع . وما أكثر ما سمعت منه . وما أكثر ما سمعت عنه . كان يقول إنني رب أسرة كبيرة هي شعب البحرين . فهم أبنائي . أمنهم أمانة في عنقي . استقرارهم هدفي . حمايتهم همي . حتى الشارد منهم هو فرد من أسرة واحدة . سعادتها في تماسكها . وأمانها في يقظتها لما يحوطها، وما يراد بها ولها . وبالأطماع التي تحاصرها وهي كثيرة . وسمعته يقول : لو أن العرب كلهم أدركوا أنهم أسرة واحدة - وهم بالفعل كذلك - لحلت كثير من المشاكل . واختفت كثير من الخلافات التي تجهض المسيرة الواحدة، وتُعطل الانطلاقة المنشودة، وتمكن أعداءهم من رقابهم . وسمعته يقول : إننا دولة مواردنا محدودة . وثروتنا الحقيقية هي في تلاحمنا . وانطلاقتنا في زحف واحد للعمل والبناء . وفي نبذ الفرقة . فالفرقة هي أخطر أعداء التقدم والنماء .

وسمعتهم يقولون عنه : إن لديه قدرة عجيبة على أن يجعل الأعداء أصدقاء . وأن يحول الغضب إلى رضىً . وما أكثر لقاءات القمة التي كان فيها نشاطه وحديثه . وحكمته وهدوءه . عنصراً فاعلا في تقريب وجهات النظر . وفي جعل الأيدي التي كانت تحمل الخناجر تمتد في ود لتتصافح .

وسمعتهم يقولون : إن الشيخ عيسى حقق لشعبه ووطنه في سنين قلائل ما عجزت كثير من الدول عن تحقيقه . أو تحقيق جزء منه . رغم قلة الموارد .

وسمعتهم يقولون إن هذا الرجل استطاع ببعد نظره وحماسه . وحكمته وعزمه وإصراره أن يحمي بلاده . وأن يقود مسيرتها رغم وعورة الطريق . وأن يجنبها الكثير من الكوارث التي وضعت عمداً في طريقها . وأن يحميها من كثير من المؤامرات التي حيكت ببراعة لتفتيت وحدتها . وإجهاض نهضتها . وتعويق مسيرتها وإشاعة البلبلة بين أبنائها حتى يسهل التسلل إليها .

وسمعتهم يقولون عنه : إن هذا الرجل قفز ببلاده إلى مقدمة الصفوف في وقت قياسي . لو حسب لكان عملاً نادر الحدوث في تاريخ الأمم والشعوب . فما حدث فوق هذه الأرض . فاق كل توقع . وتجاوز كل خيال . ولو أن المنصفين قارنوا بين البحرين وغيرها من بلاد الساحة العربية . لأدركوا بصدق مدى ما قدمه هذا الزعيم الأمين لشعبه ووطنه .

وسمعتهم يقولون : إنه أعاد للأذهان تاريخ كرماء العرب فقد كان علماً في السخاء . ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر . يمتد خيره وعطاؤه ليشمل الجميع . ويطال الجميع . وهو عطاء لا يتبعه منٌّ . ولا يبتغي من ورائه صيتاً ولا شهرة . .

سألت رسوم القبر عمن ثوى به ❊ لأعلم ما لاقى فقالت جوانبه

أتسأل عمن عاش بعد وفاته ❊ بإحسانه إخوانه وأقاربه

وقالوا إن فراسته ضرب من الإعجاز . فهو يراك مرة واحدة فلا ينساك رغم تزاحم الوجوه حوله والأسماء . ورغم تزاحم المشاكل والأعباء . وهو ينظر إليك فيقرأ ما بداخلك . كأنه يقرأ في كتاب مفتوح . وإذا كلماته كأنما هي حوار بينه وبين وجدانك ليس لسانك طرفاً فيه .

هذه لمحات عابرة فما أكثر ما سمعته منه . وما أكثر ما سمعته عنه . فهذا وذاك . كتاب حافل . يسجل تاريخ أمير ماجد كواحد من أبرز الأماجد في تاريخ البحرين خاصة والعروبة عامة . وسوف يسجل التاريخ لسمو المغفور له الأمير الراحل . أنه وضع الثوابت التي تحركت عليها سياسة البحرين طوال نصف القرن الأخير . وهي الثوابت التي رسمت لها الدرب . وحددت لها المسار . والتي حققت لها من الإنجازات ما يعز عن الحصر . وحمت مسيرتها وسط الأنواء . فقد أكد سموه أن البحرين دولة خليجية عربية إسلامية . وهي جزء من الأمة العربية الواحدة . التي تشكل الوحدة المأمولة جزءاً عزيزاً من حلمها الكبير . وهو حلم لا تذوب في طياته خصوصيات الدول والشعوب . وإنما هو حلم يقوم على وحدة الأنداد . وتلاحم الأشقاء .

والبحرين جزء من العالم الإسلامي الفسيح . أحلامه أحلامها . وأوجاعه أوجاعها . وما يحدث فيه يجد صداه بين ربوعها . والبحرين خليجية الأصل والواقع والانتماء . والعباءة الخليجية دفء يحتوي الجميع . والبيت الخليجي بالأخوة والحب، تعلو أركانه، ويتحصن بنيانه . وتعز أعمدته ويرسخ أساسه . وهو بوحداته القوية المتماسكة المتحابة، إضافة كبيرة وهامة وخطيرة للبيت العربي الكبير وللأمة الإسلامية المترامية .

وسمو المغفور له هو الذي مد الجسور مع كل الزعامات والقيادات في كل العالم . وعبر هذه الجسور تتابعت أخذاً وعطاءً السياسات والآراء . وأصبح سمو المغفور له بسجاياه صديقاً حميماً وأخاً عزيزاً لكل هذه القيادات والزعامات . فالبحرين جزء من العالم الفسيح . وسياستها تتأثر بمجمل السياسات الدولية وموازين القوى في العالم كله . وقيادة العمل الوطني تقتضي الوعي الكامل بكل المتغيرات . والإدراك العميق لمجمل السياسات . والفهم الثاقب لاتجاهات الرياح . وقد استطاع ببراعة الربان الماهر . أن يضع البحرين في مكانها اللائق بها ضمن المنظومة الدولية . وأن يجعل من صوتها صوتاً مسموعاً ومحترماً وله اعتباره عند صناع القرار في كل مكان . وقد كان المغفور له شاعراً . وقد اجتمعت في وجدانه رقة الشاعر وعاطفيته ووداعته . بحسم رجل الدولة وحزمه وعزمه . ومن هذا المزيج

تكونت شخصيته ليصبح الأب الحنون . ورجل المواقف الصعبة معاً . وكم صادفه من صعاب استقبلها في شموخ الجبال . ولكن القلب لم يكن ليتابع وقدرته محدودة هذه العزيمة الصلبة وآمالها غير محدودة . وكم نصحه الأطباء . ولكن مشاكل شعبه ووطنه كانت عنده أغلى حتى من قلبه . وتوالى العطاء . وتوالى أنين القلب المجهد . وفي السادس من مارس توقف القلب الكبير . وتوقف الزمن . وساد البحرين حزن كاسح . وخرجت عشرات الألوف صامتة كأنما سقطت عليها صاعقة من السماء .

وأرى ديارك بعد وجهك قفرة ❊ والقبر منك مشيد معمور

فالناس كلهم لفقدك واجد ❊ في كل بيت رنة وزفير

وطوى القبر المحدود همة لا محدودة . وانطوت في سجل تاريخ البحرين صفحة من أمجد وأزهى صفحاته . وآذن عهد عيسى بالنهاية . عهد النصف الأخير من القرن العشرين . عهد المجد والنهضة والتطور والبناء والنماء . عهد البحرين الشامخة . دولة الأسرة الواحدة والشعب المتماسك اليقظ الواعي . عهد الشعب الواعد الواثق الملتف خلف قيادته وأميره الجديد سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة وشقيق أميره الراحل سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر وسمو الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى ولي العهد . رفاق الدرب وربابنة السفينة المنطلقة دوماً للأمام . نحو شاطئ الأمان والرخاء . ونحو الغد المأمول الذي عاش حلماً عريضاً في وجدان الأمير الراحل . حلماً وهب لتحقيقه كل شيء وأغلى شيء حتى حياته نفسها .

عبد الله بن خالد آل خليفة

سمو الأمير المفدى وسمو رئيـــس ال

السير على نهج سمو المغ

الصالح نبراس يعـــنا

في السادس من مارس الحزين فقدت البحرين والأمة العربية والإسلامية واحداً من أبرز قادتها سمو المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ووسط الذهول الذي عم الجميع والذي استمر طوال أيام العزاء انطلق صوت سمو الأمير المفدى الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة يوم الثالث عشر من مارس ١٩٩٩. يخاطب أبناء شعب البحرين ويعرض لهم خطاب العهد السياسي الجديد .. قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

شعبنا العزيز . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

قال تعالى : "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا" . صدق الله العظيم

أما بعد :

ففي هذا الموقف التاريخي يجمعنا وإياكم المصاب الجلل في فقيدنا العظيم ووالدنا القائد،

وزراء يعلنان في وداع الأمير الراحل

فوزه فرصيده الإنساني على حمل الأمانة





وتوحدنا وإياكم، في الوقت ذاته، مسئولية التطلع بثقة للمستقبل لمواصلة المسيرة على النهج الذي رسمه لنا من واسع حكمته وإخلاصه وسماحته، هذا مع الاستعداد لمواجهة متطلبات المستقبل ومستجداته في عالم حافل بالمتغيرات، وذلك بما تمتلكه البحرين من قدرة على التطور والتجديد منذ أن بدأت مسيرة النهضة الحديثة، وكانت رائدة في العمل بين أشقائها ومعهم في هذه المنطقة الحيوية من الوطن العربي والعالم .

أيها المواطنون الكرام . . .

لقد فقدنا بغياب سيدي والد الجميع المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أميراً وقائداً كان أباً للجميع، وصديقاً لكل فرد من أبناء شعبه، وإنساناً كبيراً أحبه واحترمه العالم كله، فأعطانا في هذا الوطن من رصيده الإنساني ما سيبقى على مر الأجيال، وكان بذلك أصدق تجسيد لما في البحرين من وفاء وتسامح وتحضر .

وحيال هذا المصاب الجلل نتجه إلى الباري جل وعلا خاشعين، راضين بقضائه وقدره مبتهلين إليه سبحانه ليتغمد فقيدنا العزيز بواسع رحمته ورضوانه لما قدمه لوطنه وشعبه وأمته من صالح العمل الذي سيبقى نبراساً لنا في هذا الوطن، ورصيداً غالياً نحافظ عليه ونستهدي به في حمل هذه الأمانة الكبيرة التي نتكاتف اليوم جميعاً للقيام بأعبائها الجسيمة من أجل عزة البحرين وأمنها ورخائها ومستقبل أبنائها .

> **الموقف التاريخي لشعب البحرين بالالتفاف والولاء الصادق نحونا .. بيعة متجددة في تاريخ التلاحم بين الشعب وقيادته**

فقد خلف لنا الراحل الكبير وطناً متقدماً، مزدهراً، آمناً، وجعل من البحرين واحة تحضر ورخاء، ومنارة علم وتقدم في خليجنا العربي ووطننا العربي الكبير، فلنحمل الراية ونحافظ على الأمانة، ونكمل المسيرة خدمة لهذا الوطن المتميز بخصال أهله وكفاءة أبنائه، وتحضر شعبه .

سيسجل التاريخ لفقيدنا الكبير ما هو أهل له من دور رائد، ومكانة عالية، وخلق عظيم .

ومن هذا السجل الحافل نستذكر اليوم إجلالاً للراحل الكبير في موقف الوداع، وكحافز للمستقبل في الوقت ذاته، أن عيسى بن سلمان كان لنا ولشعبه في البحرين :

- رجل الاستقلال الوطني والدستور والشورى، واستكمال دولة المؤسسات والقانون والنظام .
- كما كان رجل التنمية والنهضة الشاملة وتنويع الاقتصاد الوطني .
- ورجل الوحدة الخليجية والتضامن العربي في أصعب الأوقات والمواقف .
- ورجل السلم والتعاون الدولي والصداقة المخلصة بين جميع الشعوب .

وهي كلها منارات هادية ستبقى أمامنا على صعيد مسيرتنا الوطنية، ووحدتنا الخليجية، وتضامننا العربي، وفي تعاملنا الإقليمي مع الجوار، وتعاوننا الدولي مع الأصدقاء :

هو نهج سيبقى في جوهره ثابتاً على كافة المستويات : معكم في مسيرة العمل الوطني، ومع الأشقاء في الخليج والوطن العربي، ومع كل صديق مخلص للبحرين في هذه المنطقة والعالم أجمع .

سنبقى بإذن الله على هذا النهج الذي رسمه الراحل الكبير نمد يد المودة والدعم والتعاون لكل من يريد الخير للبحرين، في الداخل والخارج، كما نصونها ونمنع عنها الأذى بالتصميم ذاته، وبالإرادة ذاتها مهما كلفنا ذلك من تضحيات .

وإذ نشيد بهذه الإنجازات التي حققها فقيدنا الكبير، فلابد أن ننوه امتناناً وعرفاناً، للحقيقة والتاريخ، بالدور الرائد الذي قام به – معه يداً بيد – شقيقه وساعده الأيمن صاحب السمو العم العزيز الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة

مشاعر المواساة الصادقة التي أحاطنا بها الأشقاء جسدت الوحدة التي كان الراحل أبرز رجالها

رئيس الوزراء الموقر . منذ اللحظة الأولى حتى اللحظة الأخيرة، في خدمة الوطن، وبناء الدولة، وقيادة الحكومة، بنهجه البصير وجهده الكبير، بما وفر للبلاد رصيداً من الحكمة والتجربة والتنظيم، كان وسيبقى دائماً ذخراً لنا ومصدر إلهام وقدوة في مواجهة مهام العمل الوطني ومتطلبات المستقبل .

فالشكر والتقدير لسموه حفظه الله على كافة مواقفه القيادية المشرفة التي وقفها في مسيرة هذا الوطن مرحلة بعد أخرى، واثقين أن سموه بما حباه الله من ثاقب النظر وقوة العزم سيواصل معنا ومعكم بإذن الله مسيرة العطاء الذي ننتظره منه، ومن جيل الآباء الذين رافقوه في ملحمة البناء، على امتداد المسيرة .

وعلى صعيد آخر، وفي هذا المنعطف التاريخي، فإننا نهيب، في الوقت ذاته، بجيل الأبناء من شباب البحرين، ليأخذ دوره ويتهيأ لمسئولياته، كل في موقعه، بدءاً من ولي عهدنا الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، الذي نتمنى له التوفيق والسداد في مهمته الدستورية الجديدة، معربين بهذه المناسبة عن تقديرنا لموقف الإجماع والدعم الأبوي الذي أحاطه به أفراد العائلة الكريمة كافة وفي مقدمتهم صاحب السمو العم الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، وصاحب السمو العم الشيخ محمد بن سلمان آل خليفة، حفظهما الله، وذلك بتزكية تعيينه، بمقتضى الدستور وليا للعهد .

شعبنا العزيز . . .

ولا يفوتنا أن نتقدم إليكم جميعاً بالشكر والتقدير على ما أبديتموه نحونا من التفاف وولاء صادق في هذا الموقف التاريخي الذي مثل من جانبكم بيعة متجددة في تاريخ التلاحم بين الشعب وقيادته في هذا البلد الأمين . وأود أن أقول لكم جميعاً بمنتهى الوضوح أنني كابن لعيسى، وحافظ لعهده، سوف أحمل لواء نهجه الذي لا يميز بين أبناء الوطن الواحد في اختلاف الأصول والمذاهب، ولا ينظر إلا لصدق الانتماء الوطني، وروح المواطنة الحقة التي تريد الخير للبحرين وأهلها كافة .

من جانب آخر وعلى الصعيد الخليجي والعربي والإسلامي والدولي فإنه ليطيب لنا أن نعرب باسمكم عن التقدير البالغ لمشاعر المواساة الصادقة ومواقف الدعم المخلص التي



حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة يلقي خطابه
السامي في نعي المغفور له الوالد الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة

أحاطنا بها الأشقاء كافة - قادة وشعوباً - سواء في دول الخليج العربية أو الدول العربية الشقيقة على امتداد الوطن العربي، بما أكد مجدداً حقيقة الوحدة القائمة بيننا والتي كان فقيدنا العظيم من أبرز رجالها .

كما نتقدم بالتقدير والشكر إلى الدول الإسلامية التي أحاطتنا بمشاعرها الأخوية المخلصة في هذا الموقف . وإلى جميع الدول الصديقة في العالم التي يجمعنا وإياها الحرص على استقرار المجتمع الدولي وأمنه ورخائه .

وأخيراً، ففي هذا الموقف للتاريخ، وإذ نسجل تقديرنا لكافة مؤسسات الدولة، ومجلس الشورى، ومؤسسات المجتمع البحريني الأهلي على ما بذلوه في مسيرة البناء، متطلعين معهم إلى مزيد من التعاون، فإنه ليطيب لنا بوجه خاص ومن موقع التقدير لمن سهروا على حماية هذا الوطن ومنجزاته أن نعرب باسمكم جميعاً عن التشجيع والدعم لمنتسبي قوة دفاع البحرين - ضباطاً وجنوداً - لما نهضوا وينهضون به من مسئوليات جسام في حماية البلاد وسلامة أراضيها وكفالة الأمن والطمأنينة لمواطنيها والمقيمين فيها، وذلك بالتكاتف مع الجهود المتميزة لقوى الأمن وأجهزة الشرطة ورجال الحرس الوطني مستذكرين في هذه اللحظة تأكيد قائدنا الأعلى الراحل طيب الله ثراه، في كلمته الأخيرة إلى رجالنا في قوة دفاع البحرين : "إن إيماننا الراسخ بأن قوة دفاع البحرين هي جزء لا يتجزأ من قوات مجلس التعاون لدول الخليج العربية ليمنحها المزيد من الثقة والإصرار على أمن واستقرار منطقتنا . وهاأنتم قد ضربتم المثل الرائع في تنفيذ ما يسند إليكم من مهام في ميدان الشرف والواجب" .

نعم، وسيبقى ذلك أيها الرجال، إيماننا الراسخ في كل الأوقات والظروف .

شعبنا العزيز . . .

نعاهدكم أن نبقى بينكم ومعكم في كل خطوة ومرحلة من عملنا الوطني فنحن أقوياء بعون الله معكم وبكم . وسيبقى التواصل بيننا قائماً ومتطوراً بإذن الله من أجل رفعة البحرين ورخائها وسنطلعكم على أفكارنا وتصوراتنا لمستقبل العمل الوطني ويهمنا أن نستطلع ما لديكم من آمال وتطلعات لخير البحرين في ظل ما تعارفنا عليه من تواصل

بين القيادة والمواطن منذ بدء المسيرة .

وثقتنا كبيرة أن مجتمعنا البحريني المتحضر يمتلك الكثير من مقومات التقدم الحقيقي الذي يمكن البناء عليها في مسيرة التطوير السياسي والإداري والاقتصادي الذي نؤمن به ونتطلع إليه إغناء لتقاليدنا في الشورى، ومواصلة لنهجنا في التطوير الحكومي، وبرامج التنمية الشاملة وتنويع الاقتصاد الوطني لصالح جميع أبناء هذا الوطن في مختلف مواقعهم وعلى كل ذرة من ترابه .

وختاماً لا يسعنا إلا التوجه مرة أخرى إلى العلي القدير ليتغمد فقيدنا العظيم، ووالدنا القائد بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته، وعزاؤنا الكبير أننا باقون على عهده، وسائرون على نهجه، وذائدون عن حياض هذا الوطن من بعده بكل ما نملك من إصرار وعزم وتصميم .

والله الموفق إلى سواء السبيل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سمو رئيس الوزراء يقول :

كان الراحل الكبير محباً لبلاده .. عطوفاً على شعبه وسيبقى شامخاً شموخ إنجازاته وخلقه العظيم

عقد مجلس الوزراء جلسته الاعتيادية صباح الرابع عشر من مارس ١٩٩٩ برئاسة صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء وذلك بقاعة الاجتماعات بديوان سمو رئيس الوزراء . وفي مستهل الجلسة ألقى صاحب السمو رئيس مجلس الوزراء كلمة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

"وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" صدق الله العظيم

إنه ليعز كثيراً على النفس أن نقف اليوم نعزي أنفسنا لفقد أغلى وأعز الرجال . . فقيد البحرين والأمتين العربية والإسلامية، الراحل العظيم، المغفور له بإذن الله تعالى صاحب السمو، القائد والوالد، والأخ العزيز الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة طيب الله ثراه، وأسكنه فسيح جناته، وأنزله منازل الصالحين والأبرار .



صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء يلقي كلمته السامية في نعي المغفور له الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة

نستمد عزاءنا في عيسى من خليفته الشيخ حمد وكلنا ثقة أنه سيكون خير خلف لخير سلف

فلقد خسرت البحرين . . والأمة العربية والأمة الإسلامية بفقد عيسى بن سلمان قائداً فذاً نذر نفسه، وكرس جل حياته للعمل من أجل بناء نهضة بلاده الحديثة . . وتقدمها في شتى المجالات وخدمة قضايا أمته العربية والإسلامية وتحقيق السلم والاستقرار في المنطقة والعالم أجمع، تملؤه مشاعر فياضة تجاه شعبه وسائر الشعوب الشقيقة والصديقة . . ضارباً القدوة والمثل الذي يندر تكراره للقائد الوالد الذي جمع بين الحكمة والقلب الكبير والخلق الكريم، والإيمان بمبادئ الصدق والعدل والتعاون والسلام سبيلاً للحكم بين الناس، وأساساً للعلاقات بين الدول والشعوب .

كان عهد عيسى عهد السلام والبناء، والتقدم والنهضة، والوحدة الوطنية وما تحقق من إنجازات في عهده على صعيد نهضة البحرين الحديثة وتبوئها لمكانتها الإقليمية والدولية التي تتمتع بها الآن . . لهو شيء يدعو بكل المقاييس إلى الفخر والاعتزاز .

فقد شمل التقدم والتطوير في عهد سموه كل المجالات وبخاصة مجال خدمات الصحة والتعليم والإسكان وغيرها من الخدمات التي تقدم للمواطن الذي شغل جُل اهتمام وعطف ورعاية سموه . . كما حققت البحرين في عهد سموه مكانة اقتصادية رفيعة . . إضافة إلى رصيدها الكبير كدولة لها مكانة مرموقة في علاقاتها الخارجية، وذات دور بارز في تأسيس وترسيخ مسيرة مجلس التعاون لدول الخليج العربية . . ومشاركة إيجابية

مستمرة بقيادة سموه رحمه الله على الصعيد العربي . . دعماً للتضامن العربي وسعياً لإزالة أسباب الخلاف والفرقة . . ودفاعاً عن الحقوق والقضايا العربية العادلة، كما اكتسبت البلاد في عهده مكانة دولية متميزة بما حاز عليه سموه من ثقة واحترام وصداقة قادة الدول المحبين والمقدرين للدور الكبير الذي اضطلع به سموه . . إسهاماً في جهود تعزيز السلام والأمن والاستقرار . . وتعميق التعاون والوفاق الدولي، ومساندة كل القيم والقضايا الإنسانية النبيلة .

النهج الذي سار عليه انتقال السلطة يؤكد رسوخ دولة القانون والمؤسسات

إن الكلمات، مهما كانت بلاغتها، لتعجز عن أن توفي عيسى بن سلمان حقه أميراً محباً لبلاده . . عطوفاً على شعبه . . وأميراً مخلصاً وقائداً حكيماً، مثالياً في عطائه واهتمامه وانشغاله بقضايا العروبة والإسلام والإنسانية جمعاء .

سيبقى عيسى بن سلمان شامخا في تاريخ أمته شموخ إنجازاته الكبيرة وخلقه العظيم وستبقى ذكراه العطرة حية عزيزة في وجدان بلاده وشعبه الوفي .

إننا وفي هذه الأيام الحزينة . . لنستمد عزاءنا في عيسى من خليفته الابن العزيز حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البلاد المفدى أطال الله في عمره، وكلنا ثقة بأنه سيكون خير خلف لخير سلف، وبأن عهده، وبما يملكه سموه من حكمة وقدرات قيادية وحسن تدبر سيكون عهد ازدهار وخير وتقدم كما كان عهد عيسى .

الوقفة الشعبية الرائعة جسدت روح الأسرة الواحدة وعكست معنى التلاحم

وإنه لموضع اعتزازنا أن نبذل أقصى الجهد والعطاء في مساندة ودعم صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى على نحو ما قمنا به إلى جانب المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ عيسى بن سلمان، لمواصلة البناء على ما أسسه الراحل العزيز وطنياً وإقليمياً وعربياً ودولياً .

وإننا لنود في هذا الصدد أن نعبر عن أطيب تمنياتنا بكل التوفيق والسداد لسمو الابن العزيز الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى آل خليفة والذي حاز تعيينه ولياً للعهد على رضا واعتزاز الجميع، كما كان للنظام والنهج القويم الذي سار عليه انتقال السلطة في البلاد . . الأثر الطيب لدى الجميع، وذلك بما عكسه من ثبات ورسوخ دولة القانون والمؤسسات التي أرسى دعائمها المغفور له أمير البلاد الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة .

ونحن في هذا المقام الحزين لنعرب عن خالص الاعتزاز بتلك الوقفة الشعبية النبيلة التي وقفها شعب البحرين أجمع في هذا المصاب الجلل، والتي جسدت روح الأسرة الواحدة التي حرص المغفور له بإذن الله تعالى على غرسها لدى هذا الشعب الوفي . كما عكست روح التلاحم القائم بين الشعب وقيادته كما أرادها رحمه الله .

كما أننا لنود أن نعبر عن خالص الشكر والتقدير والامتنان لقادة وحكومات وشعوب الدول الشقيقة والصديقة . على ما عبرت عنه من مشاعر أخوية صادقة نعتز بها، ومشاركة كريمة في أحزان البحرين العميقة لوفاة الراحل العظيم . القائد . والوالد . .

. . والأخ العزيز . . عيسى بن سلمان .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نعرب عن عميق تقديرنا لما أبداه الإعلام العربي والخليجي والبحريني مسموعاً ومقروءاً ومرئياً من مشاعر أخوية فياضة شارك فيها الجميع من كتاب ومفكرين وصحفيين وإذاعيين، تعبيراً عن الحزن العام والعميق في هذا المصاب الكبير .

رحم الله فقيدنا الغالي وأسكنه فسيح جناته وألهمنا وإياكم الصبر، ووفقنا سبحانه وتعالى لمواصلة مسيرة البذل والعطاء على نهجه الذي علمنا إياه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أدعوكم إخواني لقراءة الفاتحة على روحه الطاهرة .

سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة :

مكارم أخلاق المغفور له الراحل نجعلنا لا ننساه أبداً

عقد مجلس الشورى جلسته الاعتيادية صباح السادس عشر من مارس ١٩٩٩ . . خصصت الجلسة لتأبين سمو المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة الأمير الراحل وقد حضر الجلسة عدد من الوزراء وقام عشرون عضواً برثاء وتأبين المغفور له الأمير الراحل . . وقد تحدث في الجلسة سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وزير العدل والشئون الإسلامية، رئيس تحرير "الوثيقة" قال في كلمته :

أشكركم على مشاعركم الطيبة التي عبرتم عنها عن حزنكم الكبير على الفقيد الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة والذي يعد رحيله خسارة ليس للبحرين فقط وإنما للأمة العربية والإسلامية .

والحقيقة أن الكلمات لا تسعفنا لأن نوفي هذا الرجل حقه وما تميز به من مكارم الأخلاق . إن قلوبنا يعصرها الحزن وما لنا إلا الصبر، ونحن بأمر الله صابرون



عدد من الوزراء حضروا الجلسة التاريخية لمجلس الشورى لتأبين سمو المغفور له الأمير الراحل



نواب الشعب أعضاء مجلس الشورى يقرأون الفاتحة على روح الفقيد

وشاكرون، وكل ما يأتي من الله قدر لا يمكن رده، فكل نفس ذائقة الموت .

إن ما لمسناه في الرجل الراحل من تواضع ورحمة يجعلنا لا ننساه أبداً .

ولنا في ابنه صاحب السمو الشيخ حمد، خليفته من بعده الأمل الكبير فقد وعدنا أن يسير على نهج والده رحمه الله، فهو أملنا الواسع، وثقتنا كبيرة في صاحب السمو الشيخ خليفة رئيس الوزراء، رفيق درب الراحل الكبير والذي لم يفارقه منذ ستين عاماً .

وإنها للفتة كريمة تجسدت في انتقال ووراثة الحكم والتي جاءت طبيعية جداً وتدل على عراقة هذا البلد وطيبة أهله .

كما أن تولي الشيخ سلمان بن حمد ولاية العهد جاء بإجماع الجميع وترحيب من الكل، فهو رغم صغر سنه إلا أنه رجل ذكي ومتعلم ومثقف ومتواضع . وهذه الخصال موجودة ومتأصلة في الأسرة الكريمة وتجسدت بوضوح في المغفور له الشيخ عيسى بن علي وأبنائه من بعده .

ولا يفوتني هنا وأنا شخص عاصرت أواخر تاريخ الشيخ عيسى بن علي وحمد بن عيسى وسلمان بن حمد وعيسى بن سلمان ولمست في عهد الشيخ عيسى بن سلمان تغيراً كبيراً في هذا البلد الصغير من حيث البناء والتطور والنهضة، فقد جعلها المغفور له بإذن الله تعالى دولة ذات سيادة لها صيتها العالمي وهي دولة من أعز الدول ورغم صغر مساحتها إلا أن اسمها كبير برجالها وهذه ظاهرة كلكم رأيتموها ولمستموها عن كثب .

وأخيراً إنني أشكر شعب البحرين بأكمله وأوصيه بتوحيد الكلمة وتوحيد الصف والعمل جميعاً في تماسك ووحدة حتى نسير بهذا البلد من أحسن إلى الأحسن ونرجو من الله التوفيق .

رئيس مجلس الشورى :

إغناء تقاليد الشورى إنجاز متميز في سجل إنجازات فقيدنا الكبير

قال تعالى : "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين" صدق الله العظيم

إنه لمن دواعي الحزن والأسى في النفس أن نقف اليوم لنعزي أنفسنا في فقد الراحل العظيم . رمز الوطن وباني عزه ومجده . وقائد مسيرته . المغفور له بإذن الله تعالى صاحب السمو الوالد الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته .

لقد اختار المولى إلى جواره الكريم أغلى وأعز الرجال وخسرت برحيله البحرين والأمة العربية والإسلامية قائداً حكيماً وزعيماً فذاً وأباً حانياً وأخاً كريماً أعطى لوطنه من جهده وفكره ما جعل للبحرين - البلد الصغير في المساحة والسكان - المكانة المرموقة في مصاف الدول المتقدمة في المجالات الاقتصادية والسياسية والتنموية . وأعطى لشعبه من دفقات الحنان والأبوة والاحترام ما دفع الجموع الغفيرة من المواطنين والمقيمين يبكون عيسى بن سلمان آل خليفة ولا يزالون . كيف لا وهو ذو الشمائل الفاضلة والسجايا العظيمة الذي أرسى بناء الدولة الحديثة ورسخ قواعد التواصل بين الحاكم والمحكوم، وكرس جل حياته للنهضة والعمران ولم يبخل على شعبه لرفعته وازدهاره بأي جهد وحسبه أن الموت قد اختطفه وهو يمارس عمله في قمة مجده وعطائه للبحرين .

إن ألم الفاجعة ومشاعر الفقد ليعجز البنان عن أن يخطها في بضع كلمات، ذلك أن مناقب الراحل الكبير وإنسانيته العظيمة أسكنته قلوبنا، وفقده تملك وجداننا ولا نستطيع مهما أوتينا أن نعبر عن فيض مشاعر الحب والتقدير والثناء لسموه رحمه الله . وعزاؤنا في الفقيد العظيم، نستمده من خلفه حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البلاد المفدى حفظه الله سليل المجد وابن الكرام الذي سارع إلى زرع الثقة بإعلانه في خطابه السامي استمرار السير على نهج الراحل الكبير وتتبع خطاه، التي ستظل نبراساً لقافلة البناء والنماء لهذا الوطن بمساندة كريمة ودعم مخلص من لدن صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر حفظه الله رفيق درب المغفور له في مسيرة التقدم والازدهار والاستقرار .

ولقد فتح الخطاب الأميري السامي آفاقاً واسعة من الضمانات المطلوبة بما احتواه من تطلعات مستقبلية لمسيرة التطوير السياسي والاقتصادي والإداري وتأكيد سيادة دولة القانون والنظام والمؤسسات واتباع نهج والده في المساواة بين أبناء الوطن بكل أصوله

ومذاهبه وتعزيز روح الانتماء الوطني، وبما حمله من فكر متحضر وآمال عظيمة نحو النهضة الشاملة .

ونسجل بكل الفخر والإعزاز تقديرنا لسلاسة انتقال السلطة بعد رحيل أميرنا طيَّب الله ثراه وتعيين صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة ولياً للعهد . وهو إنجاز يدل على سيادة دولة الدستور والقانون التي بناها الراحل العظيم عيسى بن سلمان آل خليفة بثاقب بصيرته وعمق حكمته .

كما نثني في هذا الموقف التاريخي على صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر أطال الله في عمره مساندته لأمير البلاد المفدى، وذلك من خلال كلمته المعبرة والصادقة التي ألقاها في مجلس الوزراء مؤبناً شقيقه العزيز فقيد البحرين الكبير .

ونود من خلال هذا المنبر أن نعرب عن اعتزازنا لما تضمنه النطق السامي لحضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البلاد المفدى من إشادة بمجلس الشورى الذي أسسه الراحل الكبير وأحاطه مع صاحب السمو رئيس الوزراء الموقر بالرعاية والمساندة حرصاً منهما على إغناء تقاليد الشورى في هذا البلد الحبيب حتى غدا معلماً بارزاً وإنجازاً متميزاً مدوناً في سجل إنجازات المغفور له طيب الله ثراه .

ولا يسعنا إزاء ذلك في مجلس الشورى - رئيساً وأعضاء - إلا أن نجدد العهد لحضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البلاد المفدى والالتزام بالتعاون البناء مع حكومة صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر . وسنعمل للحاضر والمستقبل كما عهدتمونا بالوفاء والولاء، وسنكون على الدرب سائرين ولقادة الوطن مخلصين لتكون البحرين كما كانت بلد الحب والسلام وواحة الأمن والأمان كما أرادها عيسى بن سلمان وبذل لها كل حياته رحمه الله .

أخيراً وعرفاناً بقدر سمو الراحل العظيم لا يسعنا إلا أن نردد خاشعين قوله تعالى: **"كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون"** .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سمو المغفور له الأمير الراحل قائد ومسيرة

للدكتور علي أبا حسين

لقد عز على الأنفس، وأحزن الأفئدة ما روعنا عن انتقال صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة تغمده الله برحمته ورضوانه، بمفاصلته العالم الفاني لمواصلة النعيم الرضواني، فأسفنا وحق الأسف على فقدان الفقيد الكريم، إلا أن استرجاع الحكيم الثقة بما بعد ذلك من نعمة جوار الرحيم يهونان هذا الخطب العظيم الجلل . ولا نقول إلا كما قال الصابرون [إنا لله وإنا إليه راجعون] . داعياً الله سبحانه وتعالى أن يلهم الصبر الجميل للأسرة الكريمة وللشعب البحريني الوفي ويمتع صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البلاد المفدى بالمجد الأثيل والعمر الطويل . وأن يتغمد الفقيد برحمته ويسكنه فسيح جناته ويفسح له في دار كرامته. إنه لطيف لما يشاء وهو العزيز الحكيم . ونقول كما قيل :

فلا يصحب الإنسان من بعد موته ... إلى ربه إلا الذي كان يفعل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

لما كان التاريخ خبراً وبحثاً وتحقيقاً في الحوادث الماضيات فهو سجل حافل بأعمال الخلفاء والسلاطين والأمراء المصلحين يقص علينا سير الأولين وأخبار الماضين ويحدثنا عن الأعمال التي خلدت ذكرى القائمين عليها ويسطر أحرفاً من نور للعاملين المخلصين لشعوبهم المخلدين أمجادهم بأعمالهم لخير العباد . ولما كان العمران والبناء من الصناعات البشرية التي تكون مظهراً من المظاهر الحضارية فقد خلد التاريخ أسماء أولئك الذين عمروا بلادهم وأشاعوا فيها الأمن والأمان، ولاشك أن الأمن نعمة من نعم الله التي أسبغها الله على البلاد والعباد وكان لها تأثير كبير في التقدم الحضاري والتطور العمراني لأن العقل البشري يجد مجالاً للنشاط والإبداع في أحوال الأمن والاستقرار بينما يحدث الركود والتخلف الحضاري حينما تعم الفوضى ويسود الاضطراب .

ولاشك أن لسير القادة تأثير كبير على سير التاريخ، ومن دراسة سيرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وما قدمه من جليل الأعمال في مرافق الخير والإصلاح والعمران يجعله بين قليل من أمثاله فلقد نشر ظلال الأمن على بلاده وتطورت الإدارة وازدهرت التجارة وعمرت البلاد وامتدت يد الإصلاح لجميع مرافق البلاد، وإن حديث الإصلاحات في عهده حديث طويل تضيق به الصفحات فهو يؤمن بخلود العمل المخلص الدؤوب ويرى أن الناس ذكرى وهم صحائف من كتاب تاريخ بلادهم يذكرونه ويذكرون عمله وتفانيه في بناء وطنه وسعادة شعبه واهتمامه بهم فأخلصوا له حين أخلص لهم وأحبوه لقربه من أنفسهم فكان صانعاً للتاريخ ومؤسساً لدعائم صرح البحرين الحديثة . وقد قدم صاحب السمو أكثر من (ثلاثين عاماً) من العمل الدؤوب ولسان حاله يقول : هذه البحرين المتطورة أضافت إلى تراثها الحضاري الخالد تراثاً لازالت آثاره بارزة للعيان في كل مرافق الحياة في البلاد، وهنا يعترف الجميع بأن سموه حقق لبلاده ما يصبو إليه كل مواطن فهو الأمير الحكيم وأن الحكمة أساس الحكم وهو الرجل المحنك والسياسي الملهم، فهو الشيخ عيسى بن سلمان بن حمد بن عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن

أحمد (الفاتح) بن محمد بن خليفة آل خليفة أمير دولة البحرين . ولد سموه في مساء اليوم الثالث من شهر يونيو ١٩٣٣م الموافق لليوم العاشر من صفر عام ١٣٥٢هـ، وكان مولده في (الجسرة) وهي إحدى ضواحي البحرين الواقعة على سيف البحر الغربي والتي تكثر فيها بساتين النخيل وأشجار الفاكهة فهي تتمتع بمناخ صحي وهناك قضى سموه فترة من طفولته .

وكتب المعتمد السياسي في البحرين إلى المقيم في الخليج خطابا جاء فيه : ولد الشيخ عيسى في ليلة ٣ / ٤ يونيو ١٩٣٣م واحتفل سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة بقدوم المولود بحفاوة بالغة وتلقى الخبر شيوخ الساحل المهادن (الإمارات العربية المتحدة) وقطر بسرور واهتمام بالغين وأرسلوا التهنئة إلى حاكم البحرين سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة وإلى نائبه الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، كما طلب المعتمد في البحرين من المقيم في الخليج أن يرسل بطاقة تهنئة إلى حاكم البحرين وإلى نائبه[1] . وكان المقيم وقتئذ في زيارة إلى قطر فأرسل من هناك برقية يهنئ فيها أمير البحرين سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة على مولود حفيده الشيخ عيسى وبعد ساعتين أو ثلاث سمع الرد على هذه البرقية من شيخ البحرين، وكان المقيم يريد أن يؤكد لشيخ قطر أهمية استخدام أجهزة الاتصالات اللاسلكية لرفض شيخ قطر الموافقة لشركة النفط استخدام أجهزة الاتصالات اللاسلكية في بلاده[2] .

واتبع (فول) رئيس الخليج البرقية برسالة إلى سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة وفيها : تلقيت في لحظة مباركة خبر مولد حفيدكم فأنتهز هذه الفرصة لأشارككم الأفراح وأكتب لكم هذه الرسالة لأهنئكم بهذه المناسبة السعيدة داعياً المولى عز وجل أن يعيد عليكم مثل هذه المناسبة وأن يديم لكم التوفيق والبركات[3] . وقد أجاب سموه على التهنئة[4] . كما أرسل رئيس الخليج رسالة إلى سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة جاء فيها : وصلت إلينا بشرى سارة بأن الله رزقكم غلاماً وبادرنا إلى كتابة التهنئة والتبريكات الحميمة سائلين الباري أن يجعله قرة العين وأن ينعم عليكم بأن تروا أولاده[5]

. وعمت الأفراح ولبست البحرين حلة قشيبة من الزينة وجلس سمو الشيخ حمد ونائبه وولي عهده الشيخ سلمان لاستقبال المهنئين من سكان البحرين وممن وفد من الخارج لتقديم التهاني والتبريكات . وسماه جده الشيخ حمد على اسم والده وهو (الشيخ عيسى بن علي) الذي اتصف بالكرم والسماحة والتواضع وسيرة الملوك فورث عنه حفيده الشيخ عيسى بن سلمان تلك الصفات الكريمة، وقد وصفه الشاعر لحدان بقوله :

أرى الشيخ عيسى يشبه الشيخ عيسى
ولا قط يوم قد نظرناه كلاحي

تلقى سموه التعليم على أيدي علماء عصره ومعلمي زمانه ومنهم : (الشيخ ابن حبيل) وهو أحد مشايخ بلدة سترة في البحرين وقد علمه قراءة القرآن الكريم ومبادئ الدين والقراءة والكتابة، ثم تتلمذ على يد الأستاذ (أحمد العمران) وهو من خيرة المدرسين في البحرين، ومن معلمي سموه أيضاً الأستاذ (أمين حافظ) والأستاذ (عبد علي ميرزا) وهما وقتئذ من كبار أساتذة التعليم، فأخذ بقسط وافر من العلوم والآداب . وكان يحضر مجالس جده ووالده حيث يسمع الشعراء وأحاديث الأدباء والساسة الذين كثيراً ما يحضرون مجالسهما، ولاشك أن تلك المجالس إنما هي مدارس يتعلم فيها ما يسمعه خاصة وهو في سن الطفولة وريعان الشباب . وكان سموه شغوفاً بالمطالعة وخاصة كتب التاريخ والشعر والأدب مما أكسبه ثقافة عالية أهلته للقيام بأعباء الحكم والنهضة في بلاده بالمستقبل وقد استفاد بالكتب والمجلات والصحف التي ترد لجده ووالده من البحرين وخارجها فيتصفحها ويقرأ ما عن له منها فيطلع على ما يدور في البلدان من أحداث ووقائع وما يكتب عن البحرين في تلك المجلات والصحف، كما أن قراءته المتواصلة جعلته يميل إلى كتب الشعر العربي والنبطي وإلى التاريخ وسياسات الدول فيعرف الماضين في سيرهم ويطلع على أسباب تقدم الأمم فيقتدي بها ويتجنب الأسباب التي أدت إلى ضعف الدول وتدهورها .

حتى إذا أصبح فتىً وقد أخذ بقسط وافر من المعرفة ودرس تاريخ بلاده وأمته كان يسافر إلى البلاد العربية والأجنبية بصحبة والده أو أقاربه فيطلع على

مظاهر التطور والعمران ويتعلم اللغة الإنجليزية، فقد أوفده والده رحمه الله إلى أوروبا للدراسة وخاصة دراسة اللغة الإنجليزية فتعلمها في دورتين في كل دورة ستة أشهر وعاد ليتدرب على إدارة الأمور العامة على يد كبير مهندسي دائرة التسجيل العقاري الأستاذ (محمد ميمن)[٦] وترأس المجلس البلدي في عام ١٩٥٦م وظل إلى ١٩٦١م حيث تولى الحكم، كما كان رئيساً للهيئة الخليفية، ورئيساً لمجلس الري، ونائباً لرئيس المجلس الإداري .

ومن عوامل ثقافة المرء سفراته واطلاعه على ما في البلدان الأخرى من مظاهر الحضارة، وقد قام سموه بجولات وزيارات لعدد من الأقطار العربية والأجنبية . كما عينه والده في مجلس الوصاية على العرش أثناء غيابه لزيارة بريطانيا لحضور احتفالات تتويج الملكة اليزابيث الثانية .

وكثيراً ما كان يرسله مبعوثاً وممثلا عنه لحضور بعض المناسبات الرسمية في البلاد الأخرى فقد حضر احتفالات تتويج الملك فيصل الثاني ملك العراق في ١٩٥٤م ممثلاً عن والده، وقام سموه بزيارات كثيرة منها زيارة بريطانيا بمعية والده الشيخ سلمان بن حمد أل خليفة وذلك في ٢٤ يونيو ١٩٥٨م وحفظت تلك الزيارة على شريط سينمائي ملون عرض في جميع دور العرض في البحرين[٧] . وفي ١٤ يوليو ١٩٦٤م زار الشيخ عيسى لندن وأقامت الملكة اليزابيث الثانية مأدبة غداء على شرفه كما قلدته ملكة بريطانيا وسام (كي. سي. إم. جي.) وأقيمت له مآدب أخرى . وفي دبي في دولة الإمارات العربية المتحدة حضر صاحب السمو اجتماع حكام إمارات الخليج العربي في ٧ يوليو ١٩٦٥م[٨] . وفي يوم الجمعة ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥م غادر صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى إلى الكويت الشقيقة وذلك لتقديم التعازي لوفاة الشيخ عبد الله السالم آل صباح[٩] . وفي الأسبوع الأخير من شهر فبراير حضر صاحب السمو أول اجتماع للمجلس الأعلى لإمارات الخليج العربي . وزار سموه الكويت في يوم الأحد ٤ فبراير ١٩٦٨م وكان في مقدمة مستقبليه الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت[١٠] . وغادر صاحب السمو إلى

المهمون مثل كبار رجال الأعمال أو الضيوف الأجانب بالقرب من سمو الأمير، وحالما ينتظم المجلس يتبادل سموه الكلمات معهم فيحيي بعضهم ويسأل عن صحتهم ويتفقد أقرباءهم فهو يعرف زواره ومن يرد من الحضور شيئاً ليبلغه لسموه أو يتقدم بالتماس خطي فهو يتقدم إليه ويهمس له عن حاجته وقد يقدم له طلبه المخطوط وسموه يقبل جميع الطلبات وتنقل إلى رئيس الديوان الذي هو الآخر حريص على متابعة مطالب الناس التي قرأها سمو الأمير وأخذ فكرة عنها وكثيراً ما كان سموه يسأل ويستفسر ويتابع عن بعض ما قدم له من مطالب حتى بعد عدة اسابيع .

وخلال فترة جلوسه التي تدوم نحو ساعة يتقدم أربعة من رجاله الذين يقدمون القهوة وهم متمنطقون بالخناجر الذهبية المزخرفة والمثبتة بحزام أحمر ويلبسون اللباس الأبيض العربي، فيصب أحدهم القهوة ويقدمها لسموه أولاً ثم يأمر بتقديم القهوة لزواره فيبدأ الآخر في تقديمها إليهم بينما يحمل اثنان الفناجين، حتى يتكامل المجلس فيأمر سموه بتقديم فناجين الشاي، حتى إذا تم الجميع نهض من مجلسه فنهض الحضور واتجه إلى مكتبه في مجلسه الخاص بعد أن ودع زواره وذهب كل إلى عمله، وجدير بالذكر أنه لم يتم تفتيش أحد ولم يمنع أحد من حضور مجلس الشيخ فالجميع يدخل بدون استئذان ولم يكن هناك مزيد من الحرس ولا الأدوات الإلكترونية التي تستخدم في مثل هذه الأماكن في البلاد الأخرى . كان الشيخ عيسى يؤمن بأن خير وسيلة للحكم بأن يكون قريباً من أبناء شعبه لا يحجبه عنهم حاجب وكان يتمثل بقول أحد بلغاء العرب حين قال : إذا أسدل الوالي على نفسه ستار حجابه وهي سر ولايته فسدت ولايته .

لذا فقد كان يستقبل الجميع ويسد حاجاتهم ويستجيب لمطالبهم مباشرة ويحقق لهم أمانيهم وآمالهم فيغرس في نفوسهم الولاء والإخلاص والمحبة وكأنهم أسرة واحدة يرعاهم أميرهم الذي تتمثل فيه مكارم الأخلاق والشعور بالمسئولية ويستقبلهم بصدر رحب وبروح ديمقراطية تتمثل فيها البساطة العربية التي ورثها عن آبائه وأجداده مع أن بلاده قد أخذت في كل مظاهر الدولة

الحديثة المتطورة فجمعت بين التراث والتجديد .

ويرحب سموه بالأجانب الذين يزورون البحرين فهو يتمتع بشعبية بين الأجانب وبين أبناء البلاد على حد سواء، حيث يتجه سموه نحو مجلسه الخاص الواقع على اليمين للداخل للمجلس العام فيبدأ العمل الرسمي ويقابل فيه من أراد مقابلته من رجال دولته أو عامتهم وكذلك ضيوف الدولة وأعضاء البعثات الدبلوماسية . وهو يقول لضيفه أنت أخ عزيز في بلدك ويحدثه حديث الأمير المثقف فهو يجيد الإنجليزية التي يتحدث بها أغلب الأجانب فيجدون صورة صادقة لأمير تربى تربية الملوك مع ثقافة عامة ووعي بما يحدث في الساحة الدولية .

كما يحدث ضيفه عن بلاده ويسأله عن أشخاص قد قرأ أو سمع عنهم أو اجتمع بهم فيكبر الضيف شخصية الأمير الذي يدخل السرور إلى نفسه ويخرج منه وهو يرغب في زيارته أكثر من مرة وهو يشيد في سمو أخلاقه وبساطته ورحابة صدره، وهو الذي يرحب بأخوته العرب في كل مكان ويبذل الجهد في سبيل خدمة القضايا العربية العادلة والتي تحقق أهدافهم وتوحد كلمتهم .

ولقد شهدت البحرين تقدماً ملحوظاً في عهد سمو المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بمقارنته مع الحكام الآخرين خاصة في المجال الاقتصادي والتطور الاجتماعي والثقافي والسياسي، فقد سعى من أجل استقلال البحرين وقام بتنويع النشاط الاقتصادي مما أدى إلى بروز البحرين كمركز للوحدات المصرفية الخارجية ولا عجب إذا ما رأيت البحرين قد تطورت اقتصادياً لأن جل اهتمام سموه وحكومته الرشيدة في التنمية الاقتصادية وما ينعكس عن ذلك للتطور الاجتماعي والثقافي والسياسي . وتمتاز سياسة سموه ومواقفه بالتوازن في جميع الأمور فهو يسير على المثل القائل (خير الأمور أوسطها) فقد تمسك سموه بمبدأ التوازن والتواضع وكان يهتم بالإنفاق على المشروعات التنموية للبلاد بسخاء وكذلك على المحتاجين من أبناء بلاده ولا يرضى الدخول بالمضاربات الاقتصادية لكسب المال ويهتم في استتباب الأمن وحفظ النظام لما له من تأثير على النشاط

وليس أدل على ذلك من نظرة سريعة ومقارنة إلى الإحصائيات المدونة في السنة الأولى لتولي سموه الحكم وذلك في عام ١٩٦١م فقد بلغ عدد الطلاب في المدارس لكافة المراحل الدراسية ١٥٥٥٦ طالباً، أما عدد الطالبات فكان ٧٧٦٠ طالبة وعدد المدرسين لنفس العام ٦٣٠ مدرساً وعدد المدرسات ٣٣٠ مدرسة يقومون بالتدريس في ٨٣ مدرسة للبنين و٢٢ مدرسة للبنات . وكان التعليم ولا يزال مجانياً بما في ذلك الكتب المدرسية والأدوات القرطاسية . أما عدد الطلاب والطالبات في عام ١٩٩٠ / ١٩٩١م فقد بلغ ١٠٠،٦٥٨ طالباً وطالبة منهم ٥٠،٦٠٣ طالب، و٥٠،٠٥٥ طالبة . أما عدد المدارس في عام ١٩٩٠ / ١٩٩١م فقد كان ١٥٨ مدرسة للبنين والبنات، منها ٨٢ مدرسة للبنين و٧٦ مدرسة للبنات .

ومن هنا نلاحظ مدى التطور في التعليم في ثلاثين عاماً فقد تزايد عدد الطلبة إلى أكثر من ستة أضعاف العدد وأن عدد المدارس ازداد إلى ثلاثة أضعاف العدد .

ولاشك أن الزيادة في عدد الطلاب والطالبات مع زيادة عدد المدارس المطّرد في كل عام يواكبه زيادة فيما رصد لوزارة التربية والتعليم من ميزانية الدولة .

ومن دراسة ما رصد للتربية والتعليم من ميزانية الدولة للسنوات من عام ١٩٦٠م وحتى عام ١٩٩٠م نرى مدى الاهتمام الذي أولته حكومة صاحب السمو المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة للتعليم فهي في تزايد متواصل كل عام وإليك ما يثبت ذلك في الجدول التالي :

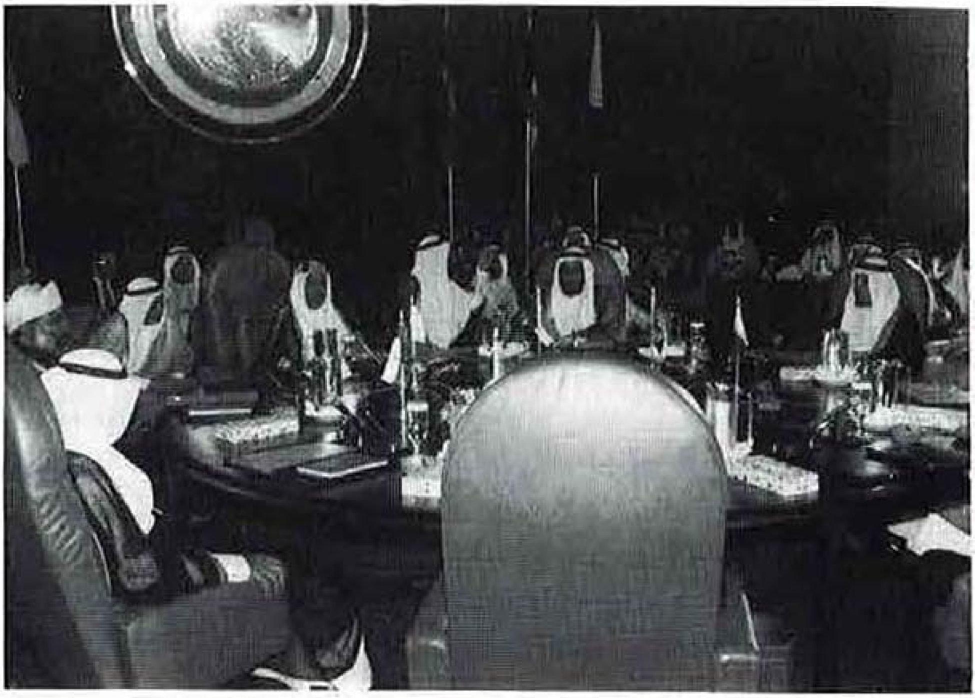
ميزانية وزارة التربية والتعليم

السنة	البيان الإجمالي للصرف	السنة	البيان الإجمالي للصرف
١٩٦٠	١,٢٤٢,٠٠٠ دينار	١٩٧٥	١٠,٣٨٦,٠٠٠ دينار
١٩٦١	١,٣١٦,٠٠٠ دينار	١٩٧٦	١٢,١٠٥,٠٠٠ دينار
١٩٦٢	١,٦٠٩,٠٠٠ دينار	١٩٧٧	٢٠,٩٢٢,٠٠٠ دينار
١٩٦٣	١,٨٢٥,٠٠٠ دينار	١٩٧٨	٢٤,٩٥٧,٠٠٠ دينار
١٩٦٤	٢,٠٠٢,٠٠٠ دينار	١٩٧٩	٢٦,٤٥٠,٠٠٠ دينار
١٩٦٥	٢,٣٤١,٠٠٠ دينار	١٩٨٠	٣٢,٦٠٤,٠٠٠ دينار
١٩٦٦	٢,٤٣٥,٠٠٠ دينار	١٩٨١	٣٦,٧٨٢,٠٠٠ دينار
١٩٦٧	٢,٧٧٦,٠٠٠ دينار	١٩٨٢	٤٥,٣٠٧,٠٠٠ دينار
١٩٦٨	٣,٠٣٠,٠٠٠ دينار	١٩٨٣	٥٤,١٠٥,٠٠٠ دينار
١٩٦٩	٣,٣٧٦,٠٠٠ دينار	١٩٨٤	٥٥.٤٧٦,٠٠٠ دينار
١٩٧٠	٣.٧٤٧.٠٠٠ دينار	١٩٨٥	٥٢,١٧٢,٠٠٠ دينار
١٩٧١	٤,٦٢٦,٠٠٠ دينار	١٩٨٦	٥٣,٠٣٠,٠٠٠ دينار
١٩٧٢	٤,٨٦٩,٠٠٠ دينار	١٩٨٧	٥٥,٦١٩,٠٠٠ دينار
١٩٧٣	٥,٨٥٦,٠٠٠ دينار	١٩٨٨	٥٥,٠١٥,٠٠٠ دينار
١٩٧٤	١٠,٣٦٦,٠٠٠ دينار	١٩٨٩	٦٠,٧٠٤,٠٠٠ دينار[٢٦]

وفي كل عام كان يتجدد اللقاء بين العاملين في الخدمة التربوية وطلاب العلم مع أميرهم في عيد العلم حتى أصبح سُنّة متبعة يتحدث فيه سعادة وزير التربية والتعليم عن الإنجازات لكل عام وعن المشاريع المستقبلية ثم يكرم سموه المجتهدين والمتفوقين من الطلاب والطالبات في مختلف مراحل الدراسة

من الإنجازات الحضارية التي شملها برعايته المغفور له صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد الراحل خلال ثلاثين عاماً من ١٩٦٠ - ١٩٩٠م وهي كثيرة نقتطف ما يلي :

في ٢١ ديسمبر ١٩٦١م	افتتح صاحب السمو الأمير الراحل مطار البحرين الدولي .
وفي ٣١ مايو ١٩٦٢م	افتتح ميناء سلمان .
وفي ١٧ ديسمبر ١٩٦٢م	افتتح مبنى بلدية المنامة .
وفي ١٦ ديسمبر ١٩٦٣م	أرسى حجر الأساس لمدينة عيسى السكنية .
وفي ١٧ ديسمبر ١٩٦٣م	دشن سموه شركة زلاقة السفن بميناء سلمان إيذاناً ببدء العمل فيها
وفي عام ١٩٦٥م	صدرت جريدة الأضواء .
وفي ١٣ نوفمبر ١٩٦٨م	افتتح مدينة عيسى بعد إنجاز المرحلة الأولى .
وفي عام ١٩٦٨م	أصدر صاحب السمو الأمير الراحل مرسوماً بتأسيس قوة دفاع البحرين والتي تحولت فيما بعد إلى وزارة .
وفي عام ١٩٦٩م	دشن المحطة الأرضية للاتصال بواسطة الأقمار الصناعية .
وفي عام ١٩٦٩م	صدرت مجلة صدى الأسبوع .
وفي عام ١٩٧٠م	افتتح متحف البحرين الوطني . أما الافتتاح الرسمي ففي عام ١٩٧٦م
وفي عام ١٩٧٠م	افتتح مؤتمر الآثار الآسيوية في البحرين .
وفي عام ١٩٧٠م	أصدر صاحب السمو الأمير الراحل مرسوماً بتأسيس مجلس الدولة وتعيين صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان رئيساً له
وفي ١١ مايو ١٩٧١م	أدار صاحب السمو الأمير الراحل بيده الكريمة مفتاح الآلة التي صبت أول سبيكة ألومنيوم .
وفي ١٥ أغسطس ١٩٧١م	أعلن سموه البيان التاريخي بإعلان البحرين دولة عربية مستقلة ذات سيادة فأعلنت البحرين استقلالها .
وفي ١٧ ديسمبر ١٩٧١م	افتتح المبنى الجديد لمطار البحرين الدولي .



صاحب السمو المغفور له الأمير الراحل يشارك إخوانه قادة دول مجلس التعاون في مؤتمر القمة الأول في أبوظبي (١٩٨١م)

وفى ١ مايو ١٩٨٤م	قام المغفور له بوضع حجر الأساس لجامعة الخليج العربية .
وفى ١٢ ديسمبر ١٩٨٤م	افتتح مصنع تكرير الحديد التابع للشركة العربية للحديد والصلب
وفى ١٥ ديسمبر ١٩٨٤م	تفضل سموه بافتتاح مدينة حمد .
وفي ١٩ فبراير ١٩٨٦م	افتتح مصنع درفلة الألومنيوم .
وفى عام ١٩٨٦م	إنشاء جامعة البحرين .
وفى ٢ يونيو ١٩٨٨م	افتتح مركز أحمد الفاتح الإسلامى .
وفي ٣ نوفمبر ١٩٨٨م	دشن السفينتين (المنامة والمحرق) بالقاعدة البحرية .
وفي ٧ مارس ١٩٨٩م	صدرت جريدة الأيام .
وفي ١٢ مارس ١٩٩٠م	افتتح المغفور له الأمير الراحل (بيت القرآن)[٢٨] .

وهناك العديد من المشاريع العمرانية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسـياحية التي أنشئت في عهد صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة رحمه الله رحمـة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

من أهم الأحداث في عهد صاحب السمو المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة

(١) إعلان الاستقلال

صدر البيان الرسمي من صاحب السمو المفدى بإعلان استقلال البلاد في ١٤ أغسطس ١٩٧١م وإليك نص البيان التاريخي الذي أعلنه صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين الراحل حول استقلال البحرين والذي ألقاه صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء من إذاعة البحرين الساعة الواحدة ظهراً :

"إن البحرين، الدولة العربية المسلمة التي تؤمن بالوحدة العربية كضرورة قومية ملحة يفرضها عليها التاريخ والدين واللغة والثقافة والمصير المشترك، قد عملت بجد وإخلاص وسعت جاهدة في سبيل تحقيق قيام اتحاد الإمارات العربية المتحدة على مدى الثلاث سنوات الماضية، وذلك منذ أن اشتركت حكومة البحرين مع جاراتها الإمارات العربية في التوقيع على اتفاقية مشروع اتحاد الإمارات العربية، الموقعة في إمارة دبي في ٢٧ فبراير ١٩٦٨م، وبدافع من إيماننا المطلق بضرورة قيام هذا الاتحاد للإمارات العربية واستكمال شكله الدستوري الصحيح النابع من صميم تطلعات وآمال شعب هذه المنطقة . ورغبة منا في أن تشاد ركائز هذا الاتحاد المطلوب على أسس ومبادئ متينة وقوية تكفل له البقاء والتطور ولشعب المنطقة الكرامة والرفاهية والتقدم، فإن حكومتنا قد ركزت في محادثاتها الطويلة على مبادئ أساسية نادت بها في كل اجتماع أو مؤتمر حضرته خلال السنوات الماضية .

وهذه المبادئ الأساسية التي تؤمن بها البحرين تتلخص في ضرورة وضع دستور حديث يقوم على مبدأ فصل السلطات وتوزيع الاختصاصات بين الأجهزة الحكومية ويوفر للمواطنين الحقوق والحريات السياسية والمدنية

الجديد برئاسة كل من سعادة وكيل وزارة الخارجية السعودية وسعادة وكيل وزارة الخارجية الكويتية، وعرض علينا مقترحاته المعدلة لم نبد أية اعتراضات بالرغم من أنها كانت أقل مما كنا نطالب به . ونتيجة لذلك لم يكن للبحرين أي مناص من التفكير في بديل يضمن لنا كياننا واستقلالنا وخاصة بعد صدور قرار مجلس الأمن التاريخي في ١١ مايو سنة ١٩٧٠م، الذي أكد بصورة قطعية ومباشرة رغبة شعب البحرين في الحصول على اعتراف دولي بكيانه وشخصيته كشعب ينتمي إلى دولة مستقلة ذات سيادة وحرة في تقرير أسس علاقاتها بالدول الأخرى .

وعلى ضوء هذا القرار التاريخي للمنظمة الدولية الذي يجسد رغبات شعب البحرين الوطنية وتطلعاته نحو المستقبل، ونظراً لأن تلك المساعي المشكورة لوفد الوساطة السعودي الكويتي لم تؤد فعلاً إلى قيام الاتحاد المنشود، وحيث أننا بدافع من رغبات وتطلعات شعبنا التي تنسجم مع المصلحة القومية العليا لشعوب دول وإمارات هذه المنطقة الحيوية من حيث تطلعها جميعاً إلى المحافظة على أمن واستقرار وتطور هذه المنطقة في جو من الأخوة والسلام وحسن الجوار .

فعليه، من أجل هذا كله وبعد المشاورات الأخوية والودية التي أجريناها مع شقيقاتنا وجاراتنا الكبرى في الخليج، قررنا أن نعلن في هذا اليوم عزم حكومتنا على اتخاذ الخطوات التالية :

١ - إنهاء جميع المعاهدات والاتفاقيات السياسية والعسكرية التي تنظم علاقات التحالف الخاصة بين حكومة البحرين والحكومة البريطانية . وعليه فقد بوشر فعلاً في الانسحاب العسكري البريطاني من أراضي البحرين .

٢ - إن البحرين الدولة العربية المستقلة هي صاحبة السيادة المطلقة على أراضيها وأن لحكومتنا دون غيرها حق تصريف شئونها الخارجية وتنظيم علاقاتها الدولية .

٣ - التقدم فوراً بطلب انضمام دولة البحرين إلى عضوية كل من الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة .

٤ - المطالبة من الدول العربية الشقيقة والدول الإسلامية الصديقة ومن دول العالم الأخرى الاعتراف بوضع

كيان البحرين كدولة عربية مستقلة ذات سيادة .

إن دولة البحرين حين اتخذت هذه الخطوات إنما تحركت بدافع من إرادة شعبها ومصلحته الوطنية وتطلعه إلى المساهمة بمجهوداته البناءة في تقدم وتطور وازدهار هذه الأرض وهذه المنطقة العربية من العالم التي امتدت جذور تاريخها وأصول حضارتها إلى أقدم وأعرق العصور التاريخية التي عرفها الإنسان .

وبناءً على ما تقدم شرحه في هذا البيان فإن دولة البحرين تعلن بدافع من مسئوليتها التاريخية والعربية تعهدها والتزامها بالسياسة التالية في علاقاتها مع الدول العربية والأجنبية والمنظمات الدولية :

١ - الالتزام بجميع اتفاقياتها وتعهداتها العربية والدولية التي لا تتعارض مع استقلالها وسيادتها وذلك ضمن مبادئ وأحكام القانون الدولي والمواثيق الدولية .

٢ - الالتزام بميثاق الجامعة العربية وبميثاق هيئة الأمم المتحدة .

٣ - العمل على بناء علاقات البحرين مع جاراتها ودول وإمارات الخليج وغيرها من الدول العربية الشقيقة على سياسة الأخوة والتعايش السلمي والتعاون والتفاهم وعدم التدخل في الشئون الداخلية لهذه الدول .

٤ - العمل على المحافظة على سلام وأمن واستقرار وتقدم منطقة الخليج وذلك بالتعاون مع جاراتها الدول الشقيقة والصديقة التي يهمها أمر سلام واستقرار هذه المنطقة الحيوية من العالم .

٥ - العمل على تنسيق وتنظيم التعاون الاقتصادي والتجاري والفني والمهني مع دول المنطقة بما يضمن تصنيع وتطوير هذه المنطقة اقتصادياً .

٦ - الإيمان الكامل بحقوق شعب فلسطين العربي في استرجاع أراضيه المغتصبة والعيش بأمن وطمأنينة في بلاده ووطنه كما تؤيد البحرين وتساند مطالب دول المواجهة العربية في استرجاع أراضيها المحتلة .

أما على صعيد السياسة العربية، فإن دولة البحرين هي جزء من الأمة العربية وستسعى جاهدة في تبني أية فكرة، جادة مخلصة تؤدي إلى تحقيق أمنية العرب الكبرى في الحرية والوحدة والسلام والإسهام في موكب الحضارة والتقدم الإنساني .

وانطلاقاً من الإيمان بهذا المبدأ فإن البحرين حكومة وشعباً تفتح ذراعيها

لتبني فكرة أي اتحـاد جديـد للإمارات حالما يقوم على قدميه ويـترعرع . وعليه فـإن إعـلان حكومـة البحريـن عـن استقلالها التام بموجب هذا البيان سوف لن يؤثر بأية حال على استعدادها دوماً في الانضمام إلى اتحاد الإمـارات العربيـة أو إلى دولـة الإمارات العربيـة الجديـدة حالما تدعى إليها في المستقبل وحالما تنشأ حكومتـها ويقـوم بناؤهـا علـى الأسـس والمبادئ الدستورية السليمة التي يؤمن بها شعب هذه المنطقة .

والله نسأل أن يسدد خطانا ويوفقنا إلى سواء السبيل وإلى ما فيه خـير وتقدم ورفاهية وطننا وشعبنا" .

* * *

(٢) في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثـاني والعشرين من شهر جمـادى الثانيـة ١٣٩١هـ الموافـق ١٥ أغسطس ١٩٧١م تم التوقيع على وثـائق إنهاء (العلاقات التعاهدية) بين دولـة البحريـن وتوابعـها والمملكـة المتحـدة وأيرلنـدا الشمـالية في حفـل حضـره
صاحب السمو المغفور لـه الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحريـن "الراحل" والسـير جيفـري آرثـر المقيـم السياسـي البريطـاني في الخليـج ممثـلا لصاحبـة الجلالـة ملكـة بريطانيـا . وإن إنهاء المعاهدة المذكورة بين دولة البحرين والمملكة المتحدة حدث نتيجـة لاسـتعادة دولة البحرين مسئوليتها الكاملـة كدولـة مسـتقلة ذات سـيادة وحلـت محلـها (معاهدة صداقـة) وفيـها يستمر التشاور والتعاون وصيانـة العلاقـات القائمـة بينهما .

* * *

(٣) وفي ١٥ أغسـطس ١٩٧١م أصدر صاحب السمو مرسوماً أميريـا يقضي بتسمية (دولة البحرين) و(أمير دولة البحرين) بـدلاً مـن لقب (حـاكم
البحرين) وتسميـة (مجلس الوزراء) بـدلا من (مجلس الدولة) .

* * *

(٤) وصدر عـن صـاحب السمو الراحل مرسـوم بـالتنظيم الإداري عـام ١٩٧٠م ومرسوم بتسمية أعضاء مجلس الحكومـة، وفي ١٥ أغسـطس ١٩٧١م صـدر مرسوم أميري بإعـادة التنظيم الإداري لدولـة البحريـن، وفي ١٥ ديسمبر ١٩٧٣م صـدر مرسـوم أميري (بتشكيل الوزارة) .

* * *

(٥) وفي الحادي عشر من سبتمبر ١٩٧١م وافقـت اللجنـة السياسـية لمجلس الجامعة العربيـة على (قبول

دولة البحرين عضواً في الجامعة العربية) . كما تقدمت البحرين بطلب الانضمام لعضوية الأمم المتحدة في سبتمبر ١٩٧١م فتمت الموافقة على انضمامها (لعضوية الأمم المتحدة) واعترفت جميع الدول بالبحرين التي أصبحت رسمياً ذات سيادة على شئونها الخارجية والداخلية .

* * *

(٦) وفي ١٦ ديسمبر ١٩٧١م أصدر الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بياناً بتكليف مجلس الوزراء بوضع مشروع (دستور حديث ومتطور للبلاد) يكفل تطبيق المبادئ الديمقراطية السليمة .

* * *

(٧) ولقد انضمت البحرين في عهد صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة إلى منظمات إقليمية ودولية . كما عقدت في عهد سموه عدة اتفاقيات تعاون على الصعيد العربي والإسلامي والعالمي سواء في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

* * *

(٨) وشاركت البحرين في العديد من المؤتمرات الدولية عربية وأجنبية لمناقشة قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وقلما تجد مؤتمراً إلا وفيه حضور للبحرين خاصة تلك المؤتمرات الداعية للسلام والتنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعي والثقافي . وترأست البحرين العديد من المؤتمرات الدبلوماسية .

* * *

(٩) في ٩ مارس ١٩٨١م عقد وزراء خارجية دول (مجلس التعاون لدول الخليج العربية) اجتماعاً تم الاتفاق فيه على عقد أول مؤتمر قمة لمجلس التعاون في (أبوظبي) وذلك في يومي ٢٦ و٢٧ مايو ١٩٨١م وفيه صدق قادة دول المجلس على النظام الأساسي للمجلس الذي يتألف من دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة البحرين والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة قطر ودولة الكويت .

وتوالت اجتماعات القمة فكانت القمة الثانية في الرياض يومي ١٠ و١١ نوفمبر ١٩٨١م . ثم عقدت القمة الثالثة في البحرين من ٩ إلى ١١ نوفمبر ١٩٨٢م، فالقمة الرابعة في قطر . وتواصلت الاجتماعات في كل عام لتنسيق التعاون والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين ووضع أنظمة متماثلة في مختلف المجالات ودفع

عجلة التقدم الاقتصادي بما يعود بالخير على شعوب المنطقة .

* * * *

(١٠) وفي عهد صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة تم إنشاء (جسر الملك فهد) ذلك الجسر الذي يمثل مدى ترابط وتلاحم أبناء البلدين الشقيقين في البحرين والمملكة العربية السعودية والذي تحقق في عهد سموه وكانت بداية تحقيق هذا المشروع في عام ١٩٦٥م حين زار جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - البحرين واجتمع بصاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وطرحت فكرة بناء الجسر، تلا ذلك اجتماع آخر في العام التالي بين العاهلين السعودي والبحريني وعلى إثر ذلك شكلت لجنة لدراسة إمكانية تحقيق المشروع في عام ١٩٦٨م وتوالت الزيارات والمشاورات حتى تشكلت لجنة وزارية من كلا البلدين الشقيقين تقوم بدراسة وتنفيذ المشروع وذلك عام ١٩٧٦م وفي يوم الأربعاء الثامن من يوليو ١٩٨١م تم التوقيع على إرساء مشروع جسر الملك فهد إلى شركة (بالاست نيدام)، ويبلغ طول الجسر ٢٥ كيلومتراً .

وفي الحادي عشر من نوفمبر ١٩٨٢م الموافق ٢٥ محرم ١٤٠٣هـ أزيحت الستارة عن اللوحة التذكارية لمشروع جسر الملك فهد في احتفال جليل حضره خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وصاحب السمو الأمير الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وكان ولا يزال ذلك الجسر يزيد من النشاط الاقتصادي والترابط الاجتماعي بين البلدين الشقيقين .



إزاحة الستارة عن اللوحة التذكارية لمشروع جسر الملك فهد بين البحرين والمملكة العربية السعودية في ١١ نوفمبر ١٩٨٢م

الهوامش

١ - ار/١/١٥/٧١٥/٣/١٩٣٣م ص ٣٢/١٥ / وانظر ار/١/١٥/٣١٦ في ١٦ يونيو ١٩٣٣م من المعتمد السياسي في البحرين إلى المقيم في الخليج / وفي رسالة إلى المقيم مؤرخة في ١٦ يونيو ١٩٣٣م وبرقم ار/١/١٥/٣١٦/٦٥٨ ورد فيها أن الشيخ سلمان الابن الأكبر للشيخ حمد رزق بمولود مبارك سمي عيسى في ١٤ يونيو .

٢ - ار/١/١٥/٧١٥/٣/١٩٣٣م ص ١٥ و٢٢ و٣٢ .

٣ - ار/١٥/٣١٦ في ١٧ يونيو١٩٣٣م .

٤ - ار/١/١٥/٣١٦ في ٥ ربيع أول ١٣٥٢هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٩٣٣م .

٥ - ار/١/١٥/٣١٦/العدد ٣١٩ في ٥ ربيع الأول ١٣٥٢هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٩٣٣م.

٦ - عن الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة .

٧ - التقرير السنوي ١٩٥٨م ص ٣٦ (يحوي صورة للزيارة)، وهنا البحرين العدد ٥٨ في ٢٧ يونيو ١٩٥٨م

٨ - النجمة الأسبوعية العدد ٢٥ / يوليو ١٩٦٥م .

K.C.M.G. (Knight Cross of Saint Michael and Saint George)

٩ - ن.م.س./٤٦/١٩٦٥م .

١٠ - النجمة الأسبوعية /٥ /١٩٦٨م .

١١ - ن.م.س./٦/١٩٦٨م .

١٢ - ن.م.س./١٩٦٨م .

١٣ - النجمة الأسبوعية /٣٣/ في ٢٠و أغسطس ١٩٦٩م .

١٤ - ن.م.س. /٣٨/ في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩م .

١٥ - التقرير السنوي لعام ١٩٧٢م .

١٦ - النجمة الأسبوعية العدد ٢٠/٤٠ أكتوبر ١٩٧١م .

١٧ - ن.م.س. /العدد ٦/ ١٥ فبراير ١٩٧٢م .

١٨ - صوت الخليج / العدد ٥٦١ / يوليو ١٩٧٣م، مجلة القوة، العدد١٨ /١٩٧٨م والعدد ٣م /١٩٧٩م وأخبار الخليج العدد ٤٠٨٣ / ١٩٨٩م .

١٩ - للشاعر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة .

٢٠ – محمود بهجت سنان . البحرين درة الخليج العربي . ص ١٩٨ . وقدري القلعجي . الخليج العربي . ص ٦٥٧ عن جورج شامي . الحياة . العدد ٥٩٧ في ١٩٦٥/٩/٢٢م .

٢١ – أنظر وثيقة في دفتر مسائل مهمة لفة ٦ رقم ١٧٩٨ (يمن) ضمن رسالة من عبد الله بن ثنيان إلى أفندينا في مصر .

٢٢ – الاسطبل الأميري . دانة . ص ٢١ . طبع في البحرين ١٩٨٠م / تقرير من المعتمد السياسي في البحرين في ٢٤ فبراير ١٩٧٢م إل. بي. إس. /٥/ ٢٧٠/ ص ٢٥٤٠ .

٢٣ – رواية عن حسن بن صالح الرويعي .

٢٤ – إف. أو./ ٣٧١/ ٧٤٩٣٧/ ص ٧٧/ ح من ١ إلى ٣١ مايو عام ١٩٤٩م .

٢٥ – التقرير السنوي لعام ١٩٦١م/ ص ٧٥/ بقلم (سمث) والنجمة الأسبوعية العدد ٤٧ في ٢٤ يناير عام ١٩٥٨م . والبحرين درة الخليج العربي ص ١٩٨ .

٢٦ – التقارير السنوية لحكومة البحرين وتشمل الرواتب والأجور دون المصاريف الإنشائية/ أنظر الملحق رقم (١) . البيان الإجمالي للصرف الفعلي للوزارات من ١٩٦٠ – ١٩٩٠م . شئون التخطيط المالي والميزانية في وزارة المالية والاقتصاد الوطني .

٢٧ – ن.م.س. التقارير السنوية . والبيان الإجمالي للصرف الفعلي للوزارات من ١٩٦٠م إلى ١٩٩٠م .

٢٨ – كتاب مركز الوثائق التاريخية ص ٨٢ – ٨٤ ومجلة القوة العدد ١٠٧/ ديسمبر ١٩٨٥م والمغرب الكبير ١٩٧٣م . العدد الأول السنة الثامنة . الخليج ١٧٠٨ ديسمبر ١٩٨٣م .

٢٩ – هنا البحرين / العدد ١١٩ / السنة الخامسة / ديسمبر ١٩٦١م .

٣٠ – مجلة القوة / العدد ١٠٧ / ص ١٤ / ديسمبر ١٩٨٥م .

إن الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس هذه الدولة العظيمة ليس مجرد مهرجان نشارك فيه الأخوة الأشقاء أفراحهم ؛ وإنما هو عرس من أعراس التاريخ، يطالعنا فيه بصفحات مشرقات من عمل عظيم . بدأ بانطلاقه المغفور له مؤسس الدولة الحديثة من الكويت لاستعادة ملك سامق ومجد سابق ثم الانطلاق في إصرار لبناء الدولة الحديثة وسط بحر متلاطم الأمواج ليوحد ويحمي ويبني ويقيم عمد بناء سامق تولى حراسته وإطالته رعيل مبارك من أبنائه . كانوا وما زالوا أباة حماة لكل أخ شقيق وجار صديق .

إن تأسيس الدول وإقامتها أمر صعب وشاق، ولكن الحفاظ عليها والنهوض بها ونشر الرخاء في ربوعها، وتوطيد أركانها وتوفير الأمن لأبنائها وبناء نموها والاستمرار في تطويرها وتحديثها وتحضيرها، والإبقاء على مكانها المتميز في المنظومة الدولية . هو أمر أصعب وأشق، وهو ما تحقق فوق هذه الأرض عبر جزء عظيم من تاريخها . لقد أرسى المغفور له مؤسس الدولة مجموعة من الثوابت العظام أبرزها أن تأخذ المملكة مكانها شقيقة كبرى لأشقاء حولها، ومن هذا المنطلق ربطت بين المملكة والبحرين طوال هذه المسيرة الميمونة علاقات متميزة . تقوم على دعائم راسخة من الحب والتعاون والأخوة والأخلاق العربية الأصيلة – وطوال هذه المسيرة العظيمة بل وقبلها بسنوات طوال كان الحب جسراً يربط بين المملكة وشقيقتها البحرين وهو ما سوف أحاول عرضه فيما يلي من صفحات .

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا

في يوم موغل في القدم حدثت هزة أرضية قوية شملت منطقتنا التي نعيش عليها وكانت كالمخاض العظيم الذي ولدت من جرائه هذه الجزر المعروفة بالبحرين وظهرت في الوجود فحنت على هذه الجزر الجزيرة العربية وحضنتها بذراعين هما شبه جزيرة قطر من جهة والمنطقة الشرقية من جزيرة العرب من جهة أخرى ولم تكتف بذلك بل جرت طبقاتها الأرضية بالمياه العذبة متفجرة على ربوع هذه الجزر ينابيع بالماء العذب فكأنها الأم الرءوم التي

تحنو على فلذات أكبادها . وفي الماضي القديم اعتبرت هذه الجزر أرضاً مقدسة . كان ذلك في عهد دلمون والذي كانت فيه هذه الجزر تتمتع بقدسية في قلوب أبناء ذلك الزمان مما جعلهم ينقلون رفات موتاهم إلى هذه الجزر لدفنهم فيها حتى أصبحت هذه الجزر تضم مقبرة هي أكبر المقابر في التاريخ القديم والتي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم وإن كان العمران قد أزال الكثير من هذه القبور والأدلة على تقديس الأقدمين لهذه الجزر كثيرة ولا يتسع الوقت لذلك ولكن سأكتفي بما ذكرته أسطورة جلجامش والتي جاء فيها :

كانت أرض دلمون . . أرض ندية طهور
عندما كنتم، أنتم تقتسمون تلك الأرض الطهور
كانت أرض دلمون أرض نقية تدور
كانت أرض دلمون أرض صفاء وحبور
كانت أرض دلمون أرض طهر ونور

عرفت هذه الجزر لأمها جزيرة العرب حقها فكانت لها محطة تنقل لها حضارات وثقافات البشرية من الهند والصين وما يرد إلى موانئها تنقله سفنها وسفن غيرها التي ترسو على سواحلها جالبة ما يتاجر فيه الإنسان في تلك الحقب من التاريخ والعصور القديمة من بضائع وأطعمة وألبسة وغيرها ثم تنتقل من موانئ وسواحل هذه الجزر إلى موانئ وسواحل الجزيرة العربية عن طريق العقير ودارين . يقول الشاعر :

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم
ويخرجن من دارين بجر الحقائب

أي أن قوافل الجمال كانت تمر بالدهناء غير محملة وتخرج من دارين بجر الحقائب أي محملة بالبضائع لتنقل إلى جميع أقاليم الجزيرة العربية ثم تنتقل إلى أبعد من ذلك وكانت الإبل هي أداة النقل البري الرئيسية وكانت تسمى سفن الصحراء لذلك أكثر العرب من تربية الإبل واقتنائها وكان ثراء القبيلة أو الرجل يقدر بما يملك من الإبل وذلك حينما كانت التجارة العالمية متمركزة في الخليج لأسباب يطول شرحها وأهمها أن السفن كانت تحاذي البر ولا تبعد في مياه المحيط فكانت تبحر من مسقط إلى جوادر ثم سواحل السند حتى تصل إلى الهند وهكذا محاذية للشاطئ وخاصة في زمن الجرهائيين الذين ذكرهم المؤرخون مثل

استرابون وبوليبوس POLYBISA عام ٢٠٤ قبل الميلاد وأغاتار سيدس المتوفى في عام ١٤٥ قبل الميلاد وغيرهم ذكروا مدينة الجرهاء وأنها كانت سوقاً من أسواق التجارة البحرية تستقبل تجارة أفريقيا والهند الجنوبية وتعيد التصدير عن طريق حائل وتيماء إلى موانئ البحر المتوسط ومصر وكذلك إلى العراق والشام وقد تنقل بالسفن إلى بابل، ثم تعود القوافل محملة بتجارات الشام والعراق ومصر وتارة البحر المتوسط وتنقلها سفن الخليج إلى الهند وأفريقيا وإلى أبعد من ذلك وبقي الخليج مسيطراً على نقل التجارة العالمية حتى عام ٩٠ قبل الميلاد حين اكتشف الملاح اليوناني المدعو هيبولس HIPPALOS السر الذي كان الملاحون العرب يحتفظون به لأنفسهم وهو حساب الرياح الموسمية فشارك اليونانيون العرب في النقل البحري وتبعهم الرومان سالكين طريق البحر المتوسط ثم قناة في النيل تخرج منها سفنهم إلى البحر الأحمر .

عند ذلك قلت حركة النقل البحري إلى موانئ الخليج وبدوره قل النقل البري فأثر ذلك على النشاط التجاري وكسدت الأسواق وبدوره عم الكساد باقي الحرف فتحالف أصحاب الإبل من البادية على مهاجمة الحاضرة وتحالفوا على التنوخ على المدن أي محاصرة الحواضر وتجمعوا باسم تنوخ ومن ذلك اشتق اسم التنوخيين وأول من عرفناه من ملوكهم مالك بن فهم وجذيمة الأبرش ثم دولة اللخميين أو المناذرة وآخرهم النعمان بن المنذر ثم ظهرت بشائر النور برسالة محمد ﷺ وكتب للبحرين يدعو أهلها للإسلام فلبوا دعوته طائعين مختارين ودخلوا في الإسلام وكان أكبر خراج وصل إلى المدينة نصراً للإسلام وتأييداً لدعوته المبلغ الذي جاء من إقليم البحرين بما فيه هذه الجزر .

هذه لمحة سريعة عن صلة هذه الجزر بشبه الجزيرة العربية في الزمن القديم انتقل منها إلى صلة إمارة البحرين بالدولة السعودية الأولى ثم الثانية ثم المملكة العربية السعودية الحديثة وهنا سأستهل بحثي ببيت من الشعر النبطي، يقول الشاعر عبد العزيز بن عبد راعي البر في قصيدته التي مطلعها :

يا للـــه يلي ما بعـد صك بابـه
يـلي غـنـي والخــلائق مقاليــل
واللي حواه اسعود فيصل حوى به
ويبغيـه نايف في السنين المقابيل

وفـي النصف الثاني مـن القرن الثاني عشر الـهجري نشـأت الدولـة السعودية الأولـى فـي الدرعيـة علـى يد مؤسسها الإمام محمـد بـن سـعود عندما آوى ونصر الشيخ محمد بن عبد الوهـاب وبايعه إلـى ديـن الإسـلام وإعـلاء كلمـة التوحيد [**لا إله إلا اللـه محمد رسول اللـه**] وقد جاهدا في الله حق جهاده حتى دانت لهما بلدان نجد بعـد جـهاد مرير وتقلبات كثيرة ولكـن لاعتمادهمـا على اللـه سبحانه وتعالى والجـهاد في سبيله والصبر على ذلك أمدهمـا اللـه بنصره، وفـي سـنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م انتقـل إلـى جـوار ربـه قرير العين بمـا تحقق على يديه وخلفه ولي عهده وقائد الجيوش المظفرة الإمام عبد العزيز محمد بـن سـعود . وفـي مطلـع القرن الثـالث عشر سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م انتقل إلـى جوار ربه شيخ الإسـلام محمـد بـن عبد الوهاب وقد رأى ثمرة جهاده وما وصلت إليه دولة التوحيد من عزة ومنعة تغمده اللـه برحمته وأسكنه فسيح جناته، وفي سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م امتدت الدولـة السعودية الأولى بقيادة الإمام عبد العزيز بن محمد وابنه سعود حتى شملت أقطار جزيرة العرب الحجـاز ونجـد والاحسـاء والقطيف وهددت بغزواتها العراق وعمان واليمـن، وفـي سـنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م طعن الإمام عبد العزيـز بـن محمـد وهـو ساجد يصلي فمات غفر اللـه له وأسكنه جناته في حديث مشهور في الكتب .

تولى بعده الإمام سعود الكبير وفي عهد الإمـام سـعود جرى الاتصـال بيـن البحرين والدولة السعودية وهنا لابد لـي أن أذكر حال البحريـن منذ ١٢١٧ إلـى ١٢٢٤هـ / ١٨٠٢ - ١٨٠٩م، في مطلع سـنة ١٢١٧هــ / ١٨٠٢م، حـاصر البحرين السيد سلطان بن أحمد سـلطان عمان بسفن كثيرة وتصالح حاكم البحرين والزبـارة الشيخ سلمان بـن أحمـد آل خليفة مع السلطان وسلمت له البحريـن صلحاً، وخبر ذلـك يطول ومـن أراد أن يرجـع إليـه مفصـلاً فلـيراجع كتابنـا (البحرين عبر التـاريخ مـن صفحـة ٢٥٣ وما بعدها) .

والمهم أنه استلم منه رهينة أخاهم محمد بن أحمد وبعد سنتين قتـل السيد

سلطان بن أحمد سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م وتولى ابنه السيد سعيد بن سلطان الحكم خلفاً له، وفي عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م وصلت الأخبار من مسقط إلى الزبارة بوفاة الشيخ محمد بن أحمد آل خليفة في مسقط ولما علم الشيخ سلمان وعبد الله آل خليفة بوفاة أخيهما في مسقط اتصلا بالإمام سعود بن عبد العزيز واتفقا معه على مساعدتهما على استرداد البحرين فأمدهما بالمال والرجال تحت قيادة إبراهيم بن عفيصان وأعد العتوب سفنهم وهاجمت هذه القوة التي اجتمعت في الزبارة البحرين وتم لها النصر وقال ابن عفيصان لآل خليفة بعد أن طالبوه بتسليم البحرين لهم أريد أمراً من الإمام فتوجهوا بسفنهم إلى الزبارة لمراجعة الإمام سعود في ذلك.

وفي خبر يطول ومفصل في الكتب استرجع آل خليفة البحرين وانتقلوا من الزبارة وأسسوا مدينتي الرفاع والمحرق عام ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م وصلح حالهم مع الإمام سعود بن عبد العزيز ثم مع ابنه الإمام عبد الله بن سعود، حتى تمكن إبراهيم باشا من احتلال الدرعية والسيطرة على كثير من جزيرة العرب فكانت البحرين أحد الملاجئ التي لجأ إليها أتباع الدولة السعودية الأولى وللدلالة على ذلك نذكر ممن لجأ إلى البحرين الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن محمد وهو صاحب القصيدة في رثاء أهل الدرعية التي مطلعها :

إليك إله العرش أشكو تضرعاً
وأدعوك في الضراء ربي لتسمعا

ويقول فيها :

وكم قتلوا من عصبة الحق فتية
هداة وضاة ساجدين وركعا
مضوا وانقضت أيامهم حين خلدوا
ثناء وذكراً طيباً قد تضوعا

واستطاع الإمام تركي بن عبد الله أن يؤسس الدولة السعودية وبعد مقتله رحمه الله خلفه الإمام فيصل واستعادت الدولة السعودية في أيام الإمام فيصل هيبتها ومكانتها واستعادت كثيراً من أجزاء جزيرة العرب التي تخضع للدولة السعودية الأولى، وكانت العلاقات بين البحرين وحكومة الإمام فيصل يعتريها المد والجزر وخاصة في سنين حكمه الأخيرة لأن الإمام فيصل بن تركي حكم مرتين، المرة الأولى من سنة ١٢٥٠ - ١٢٥٤هـ / ١٨٣٤ - ١٨٣٨م، ثم تولى على نجد خالد بن

سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وخورشيد باشا، ونازعهم الأمر عبد الله بن ثنيان وتغلب على نجد وطرد الأتراك منها ثم عاد الحكم مرة ثانية للإمام فيصل ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م، ودام حكمه إلى سنة ١٢٨٢هـ /١٨٦٥م، حيث انتقل إلى رحمة الله .

بعد وفاة الإمام فيصل أسكنه الله فسيح جناته بدأت الخلافات الداخلية بين حكام وأفراد ومشايخ العرب تأخذ مجرى سيئاً حيث ظهر الخلاف بين أبناء الإمام فيصل الإمام عبد الله الفيصل وأخيه سعود الفيصل وكذلك الخلاف في إمارة البحرين بين الشيخ محمد بن خليفة والشيخ علي بن خليفة وما حدث في الكويت بين الشيخ مبارك الصباح وأخويه محمد وجراح .

ونجد في تلك الظروف أن الدولة التركية قد ضعفت وأصبحت دول أوروبا تسميها الرجل المريض وأصبحت الدول طامعة في الاستيلاء على تركة الرجل المريض وخاصة بريطانيا العظمى والإنجليز مشهور عنهم أنهم قد لا يسببون الخلاف ولكن إذا حصل الخلاف استغلوه لصالحهم لذلك نجد أن هذه الفتن كان لبريطانيا العظمى يد فيها .

بعد هذه المقدمة التي شرحت فيه صلة هذه الجزر بشبه الجزيرة العربية ثم انتقلت لتعريف السامع على عجالة عن بداية الدولة السعودية الأولى ثم الثانية، ويسعدني الآن أن أنتقل إلى صلب الموضوع :

فترة صعبة تلك التي مرت على الرياض والمنامة شملها العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري .

ففي اليوم الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٢هـ الموافق يونيو ١٨٦٥م انتقل الإمام فيصل بن تركي إلى رحمة الله وبويع لأكبر أنجاله الإمام عبد الله بن فيصل بالحكم من بعده وكان له من الأخوة ثلاثة هم : محمد وعبد الرحمن وسعود، ومن المؤسف أن دب الخلاف بين الإمام عبد الله وأخيه سعود وامتد الخلاف بين الأشقاء ودارت بينهم معارك طاحنة مزقت أواصر القربى بينهم وقسمت البلاد وأصبحت الدولة في محنة عظيمة مما أعطى الفرصة للأعداء المتربصين في الداخل والخارج للتدخل في شئون البلاد، كما سيأتي .

وفي نفس الفترة دب الخلاف في البحرين وانتهى بمعركة الرفاع التي

استشهد فيها الشيخ علي بن خليفة آل خليفة والد الشيخ عيسى بن علي وغادر الشيخ عيسى وإخوانه البحرين إلى الزبارة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م وبدأ بجمع جنده ومؤيديه في الزبارة للهجوم على البحرين وإخراج خصومه منها واسترجاع حكمه لأنه هو الوارث الشرعي للإمارة بعد أن استشهد والده في معركة الرفاع .

غير أن الإنجليز الذين تربطهم معاهدة صداقة وحماية مع والده تدخلوا في الأمر وتقدم أهالي البحرين بالمطالبة بتولي الشيخ عيسى بن علي الحكم في البحرين خلفاً لوالده وفي ٢٩ شعبان ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م، تولى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة الحكم على البحرين وبتولي الشيخ عيسى استقرت الأمور في المنامة، أما في الرياض فقد كان الخلاف على أشده بين الإمام عبد الله بن فيصل وأخيه سعود ودارت بين الطرفين معارك شديدة وقاسية انتهت بانهيار الدولة واحتل الأتراك القطيف والاحساء .

وفي أوائل شهر أغسطس عام ١٨٧٤م الموافق شهر جمادى الثانية ١٢٩١هـ وصل الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى البحرين قادماً من البصرة عن طريق البحر ومعه عشرة أشخاص من أتباعه من بينهم فهد بن صنيتان ولدى وصوله البحرين استقبل بحفاوة من لدن أميرها الشيخ عيسى بن علي وقام بإكرامه .

ويجب أن نذكر أن وصوله البحرين كان في الصيف وعادة أهل البحرين في ذلك الوقت يسكنون في المصائف ابتداءً من يونيو لشدة الحر بقرب المياه ويسكنون غالبيتهم في بيوت مبنية من السعف والأمير الشيخ عيسى آل خليفة يسكن القلعة في المنامة صيفاً وتبنى مجالس وبيوت من السعف للضيوف حول القلعة كما تبنى لأتباع الأمير بيوت من السعف وينتشر سكان البحرين على طول سواحل البحر في بيوت من السعف وذلك من شدة الحر ويتركون المصايف في أول شهر أكتوبر، إذن فعند وصول الإمام عبد الرحمن كان الشيخ عيسى في المصيف وسكن الأمير وأتباعه في هذه البيوت لأنه لا يمكن سكن البناء بالحجر في ذلك الوقت وعندما سمع عن قدومه الكثيرون من أهل نجد الموجودون في

البحرين اتصلوا به وطول إقامته في البحرين كان يتصل بالقبائل العربية المؤيدة له ويقابل من يأتي منهم للسلام على أمير البحرين من العجمان وآل مرة بسرية تامة ولكن ما يقوم به من نشاط وصل إلى علم الوالي التركي على منطقة الاحساء والقطيف الذي خاف مما يسمع من استفسارات رسل عبد الرحمن وعن موقف القبائل الودي المؤيد له .

وعليه كتب الوالي التركي إلى حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٨٧٤م حوالي ٢٠ رمضان ١٢٩١هـ رسالة قال فيها :

[*تلقيت استخبارات فحواها بأن كلاً من عبد الرحمن الفيصل وفهد بن صنيتان موجودان في البحرين حالياً وتقودهما نواياهما السيئة هادفة خلق اضطرابات ضد الحكومة التركية كما تميل تصرفاتهما إلى التمرد، وأنت تساعدهما في محاولة لجمع ٤٠٠ أو ٥٠٠ متمرد . ولعلمك بأنه إذا ثبت لنا بأنك تساعدهما في تحضير أي سفن أو أي عمل آخر يساعدهما حتى لدرجة تافهة في تنفيذ خطتهما الضعيفة فلا ريب فيه أن الحكومة التركية تفرض عليك ثمناً لما يحدث فيما بعد، فكان من الضروري أن أحذرك كتابياً عن طريق حسن أفندي وهو ضابط في الجيش التركي . وفور استلامك هذا الخبر عليك إخطارنا عما تريد أن تكون في حالة حرب مع الحكومة التركية أو لا . وقد أمرنا الضابط ألا يبقى معك إلا يوماً واحداً ليعرف قرارك كي نحدد خطوتنا التالية مطابقاً له*] .

ولما وصلت الرسالة إلى حاكم البحرين أخبر حامل الرسالة أنه أحال الرسالة إلى المندوب البريطاني في الخليج . وبعد أن علم عبد الرحمن بفحوى الرسالة غادر هو ومؤيدوه البحرين بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٨٧٤م الموافق ٢٣ رمضان ١٢٩١هـ تقريباً عن طريق العقارية وهي ميناء في البحرين من الغرب مقابل ميناء العقير وكان هذان الميناءان المتقابلان عامرين في ذلك الوقت بالسفن التي تنقل الركاب والبضائع بينهما وقد تبعه في نفس اليوم الذي غادر فيه البحرين حوالي خمسين شخصاً من أهالي نجد وكل منهم يحمل نوعاً من السلاح قد يكون حربة أو سيفاً أو خنجراً أو بندقية والتحقوا بعبد الرحمن . وفي اليوم الثاني من نزوله التحق به عدد كبير من قبائل العجمان وآل مرة وقاد هذه الجموع إلى مهاجمة

الاحساء ومعه فهد بن صنيتان وعند وصولهم الاحساء ساعدهم أهلها وتمكنوا من اقتحام المدينة وحاصروا جنود الترك في القلعة .

إن المساعدات التي حصل عليها الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من البحرين ساعدته على تكوين هذه القوة والزحف بها على الاحساء ولكن الإنجليز قللوا من شأنها لكي لا يثيروا غضب الترك الذين لما علموا باقتحام عبد الرحمن للاحساء ومحاصرة جنودهم في القلعة حتى زاد غضبهم واتهموا الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين بمساعدته على القيام بذلك وكتبوا رسائل للإنجليز يشتكون على الشيخ عيسى ويهددون بمعاقبته وجهزوا حملة كبيرة أسندوا قيادتها إلى ناصر بن راشد بن ثامر السعدون رئيس المنتفق واسندوا إليه أن يكون (قائم مقام) على الاحساء والقطيف ولما وصلت الحملة قرب الاحساء في أواخر ذي القعدة ١٢٩١هـ الموافق ديسمبر ١٨٧٤م، برز لها الإمام عبد الرحمن الفيصل بجنده ودارت بين الجيشين مناوشات ولما رأى عبد الرحمن أن جيش الترك يفوق جنده عدداً وعدة انسحب إلى الرياض . ولما دخل الرياض جيء بأخيه سعود الفيصل مريضاً إلى الرياض وانتقل إلى رحمة الله في ١٨ ذو الحجة الموافق ٢٢ يناير ١٨٧٥م ودفن في الرياض . وتولى حكم الرياض عبد الرحمن بمبايعة أهلها له ولكنه تولى الحكم باسم أخيه الإمام عبد الله الفيصل .

وحول زيارة الإمام عبد الرحمن الفيصل للبحرين ننقل ترجمة لما كتبه سلدنها في المعجم الجغرافي للخليج – شئون البحرين ١٨٥٤ – ١٩٠٤م . صفحة ٤٥ Saldanha Persian Gulf Gazetteer Part [1] Bahrain Affairs 1854 – 1904. Page 45.

١٦٥ – اعتبر المقيم السياسي أن حضور سفينتي حرب أثناء العمليات التركية في الخليج صائباً وأصدر تعليماته بهذا الشأن .

١٦٦ – هولت السلطات التركية من شكواها ضد شيخ البحرين لإيوائه أميراً وهابياً والسماح له في جمع تابعيه والتوجه إلى نجد، وقد شرح الكولونيل روس الملابسات في الفقرة (٤) في إشارته رقم (١٣٩١) بتاريخ ديسمبر ١٨٧٤ ذاكراً أن :

" عبد الرحمن، بعد إطلاق سراحه من قبل الحكومة التركية، غادر بغداد برفقة متصرف أو حاكم البصرة آنذاك

وكان عبد الرحمن في ضيافته أثناء تواجده بالبصرة ومنها توجه بواسطة سفينة محلية إلى البحرين برفقة عشرة أفراد من حاشيته . ولدى وصوله إلى البحرين استقبل بحفاوة تمليها التقاليد العربية من قبل الشيخ عيسى فكان ضيفاً عنده مع أنه اتخذ مسكناً منفصلاً .

وعندما كان عبد الرحمن على وشك مغادرة البحرين وجد نفسه في حاجة إلى المال لتسديد ديونه البسيطة فلجأ أول الأمر إلى أطراف خاصة ليقترض منها ولكنه لم يتمكن من الحصول على المال فاضطر إلى ذكر صعوباته لشيخ البحرين فمنحه (٥٠٠) قران (٢٠٩ روبية تقريباً) .

ولدى خروجه من البحرين انتقل بحراً وتابعيه (حاشيته التي رافقته من البصرة) في سفينة كويتية أبحرت من نقطة تدعى عقارية، وأنه لم يستأجر السفينة لنقله وحده ويبدو أن عرباً آخرين كانوا ركاباً فيها دفعوا مصاريف نقلهم، وفي كل سنة خلال موسم الرطب تأتي أعداد من البدو العرب من الأراضي السعودية إلى البحرين بحثاً عن العمل في نهاية الموسم ومن هذه الفئة كان هناك عدد في هذا الوقت في الجزيرة في طريق عودتهم إلى نجد، وبجانب هؤلاء الذين يفدون إلى البحرين سنوياً يقال أن هناك أشخاص من الاحساء الذين أتوا إلى البحرين متذمرين من أفعال الحاكم التركي .

وفي هذا اليوم الذي غادر فيه عبد الرحمن البحرين استأجر عدداً من الفئة المذكورة أعلاه سفينة أخرى وتعقبوا عبد الرحمن، وعدد هؤلاء لا يمكن بيانه بوضوح ولكني متأكد أنهم لا يزيدون على الخمسين ولا أحد منهم من أهالي البحرية أو نجد، في ذلك الجزء من الجزيرة العربية سواء كان الشخص تاجراً أو عاملاً كان يحمل نوعاً من السلاح قد تكون حربة أو سيف أو خنجر أو بندقية مما يمكن القول أن هؤلاء الأشخاص جميعهم مسلحون تقريباً وبوصولهم الى ساحل الجزيرة العربية قرب العجير فهمت أن هؤلاء الناس التحقوا بعبد الرحمن .

وفي اليوم الذي يليه التحق بعبد الرحمن عدد كبير من قبائل العجمان والمرة"

ويشاطر الكولونيل هربرت في الرأي من أن شيخ البحرين كان بريئاً في هذا الأمر من كتابه إلى السير اج إليوت المؤرخ الأول من ديسمبر ١٨٧٤م والذي بين فيه :

"وصلني تقرير يفيد أن رضيف باشا قد طلب من الباب العالي أن يأذن له بالتوجه إلى البحرين لمعاقبة الشيخ لتحريضه ومساندته مغامرة عبد الرحمن ولكن بالقدر الذي علمته فإن الاتهام الموجه ضده، بأنه فعل ذلك، ليس له أساس لأن البيان الذي عمم أدى إلى تفشي ذلك" .

(١) أن الإجراء الذي اتخذ من قِبل حكومة الهند ورأيها بهذا الشأن مبين في المقتطف من رسالتها رقم ٤٢ بتاريخ ١٢ فبراير ١٨٧٥م :

"نحن في الحقيقة أفدنا الشيخ عن طريق المقيم السياسي في الخليج الفارسي من أنه شريطة تحقيق الشروط التالية [أنظر فقرة ١٥٧ أعلاه](*) يمكنه الاعتماد على مساعدة الحكومة البريطانية والتي بدورها إذا دعت الضرورة منحها إياها لصد الهجوم من البحر أو إحباط الحركة التهديدية من الجزيرة العربية، إن هذه المساعدة قد منحت فيما يتعلق خاصة من تخوف الشيخ من هجوم القبائل المعادية قرب الزبارة ومن رغبته في تعزيز حلفائه، قبيلة النعيم، الذين تقع القلعة في حوزتهم ولكن روح التوكيدات (Assurance) تنطبق بالتأكيد على حالة العدوان غير المستفز من أي جهة ويجب أن نعتبر أنفسنا ملزمين بذلك إذا الأتراك، كما يبدو محتملاً، يستعملون قبيلة بني هاجر وناصر بن مبارك عملاء لهم في هجومهم على الجزيرة، ونحن، لذلك نعتبر ملزمين الآن لنكون على أهبة الاستعداد ونجبر على مساعدة شيخ البحرين للدفاع عن ممتلكاته وقد طلبنا من الأدميرال كومنج بتقوية القوة البحرية في البحرين) .

وقد اعتمد وزير الدولة الإجراء المتخذ .

وبقيت الأحوال مضطربة في نجد بعد وفاة سعود ودارت معارك كثيرة بين أبناء سعود وعمهم عبد الله وبين آل سعود وآل رشيد وفي ٨ ربيع الثاني ١٣٠٧هـ

(*) من كتاب سلدنها، ص : ٤٣ : نص الفقرة : ١٥٧، وتم إبلاغ المقيم برقياً بأنه إذا شارك الحاكم في أي تعقيدات على البر أن الحكومة لن تضمن له الحماية .

الموافق ١٨٨٩م توفي الإمام عبد الله بن فيصل آل سعود ودفن بالرياض وفي ١١ ذي الحجة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م تمكن عبد الرحمن بن فيصل من القبض على سالم السبهان وأعوانه وسجنهم وحكم الرياض فسار إليه محمد بن عبد الله آل رشيد بجيش جرار واستولى على الرياض سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م وخرج عبد الرحمن آل فيصل وعائلته وجميع أعوانه من الرياض وتوجه مع عائلته إلى البحرين .

ووصل البحرين تقريباً في الشهور الأولى من سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م، ومعه جميع أسرته ومن بينهم الملك عبد العزيز البالغ من العمر ١١ سنة فرحب بهم الشيخ عيسى أجمل ترحيب وأسكنهم المحرق في بيت كبير بجوار بيته الذي يسكنه من جهة الشرق وبعد أن اطمأن الإمام عبد الرحمن على أسرته في كنف الشيخ عيسى الذي كان يرعاهم كأبنائه غادر البحرين إلى الجزيرة العربية ليعمل على استعادة بلاده وكان أكبر أبناء الإمام عبد الرحمن سناً عبد العزيز فكان يحضر مجالس الشيخ عيسى وكانت رجولة عبد العزيز ونبوغه أكبر من سنه وزامل عبد العزيز أبناء الشيخ عيسى بن علي آل خليفة الذي كان له من الأبناء خمسة وهم :

١ - سلمان وعمره آنذاك ١٩ سنة .
٢ - حمد وعمره آنذاك ١٧ سنة .
٣ - راشد وعمره آنذاك ١٤ سنة .
٤ - محمد وعمره آنذاك ١٢ سنة .
٥ - عبد الله وعمره آنذاك ٨ سنوات.

يحضر معهم مجلس والدهم في الصباح وفي المساء، ويركب معهم الخيل ويزاول معهم القنص وارتبط بصداقة خاصة مع الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة واستقامت عائلة الإمام عبد الرحمن في البحرين ما يقارب سنتين أما والدهم الإمام عبد الرحمن فتحدثنا بعض كتب التاريخ عنه أنه قام ببعض المحاولات لمقاومة ابن رشيد ومنها أنه (في سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م سار عبد الرحمن بن فيصل وإبراهيم آل مهنا الصالح أبا الخليل ومعهما جنود كثيرة إلى الدلم واستولوا عليها وأخرجوا من قصرها رجال ابن رشيد ثم ساروا إلى الرياض وأميرها حينذاك محمد الفيصل فدخلوها بغير قتال وكان محمد بن رشيد حين بلغته مسيرته إلى الرياض قد جمع جموعه وسار بها من حائل قاصداً الرياض وتقابل جمعاهما عند حريملا

وانهزم جيش الإمام عبد الرحمن وقتل إبراهيم آل مهنا ثم سار ابن رشيد إلى الرياض وأمر بهدم سورها وقصريها القديم والجديد وثبت محمد بن فيصل أميراً عليها ثم رجع إلى حائل في شهر صفر من هذه السنة (نقلاً عن الأطلس التاريخي للجزيرة العربية) .

أما الإمام عبد الرحمن فقد ذهب إلى آل مرة في الربع الخالي ومنها اتجه إلى قطر الدوحة وبقي في ضيافة الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني شهرين ثم عاد إلى آل مرة واجتمع هناك مع أبناء عمه جلوي بن تركي آل سعود ومن معهم من آل سعود وأتباعهم، ولم يغب هذا التجمع عن عيون والي الاحساء التركي والدولة العثمانية فخشوا من هذا التجمع وبدأوا يفاوضون الإمام عبد الرحمن وتوصلوا معه إلى حل بأن يجروا له راتباً مقداره ستين ليرة ذهباً ويذهب للإقامة في الكويت ووافق شيخ الكويت على إقامته بالكويت ووصل الأمير عبد الرحمن إلى الكويت مع جميع أفراد أسرة آل سعود حوالي عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م .

أما عائلته التي في البحرين فنرجح أنها انتقلت بواسطة سفينة من البحرين إلى الكويت لأنها أفضل وسيلة للانتقال في ذلك الوقت .

وبعد تسع سنوات من انتقال الإمام عبد الرحمن إلى الكويت وكان عمر ابنه عبد العزيز حوالي واحد وعشرين سنة وقد ظهرت عليه علامات الرجولة والشهامة والجرأة وعندما حدثت معركة الصريف سنة ١٣١٨هـ تمكن هو من احتلال الرياض وحاصر جنود ابن رشيد في القلعة ولما سمع بانتصار ابن رشيد في معركة الصريف أخلى المدينة مذكراً أهلها بأنه سيعود واتجه عبد العزيز إلى الربع الخالي ثم إلى قطر حيث أبحر إلى البحرين مع عدد قليل من رجاله وقابل الشيخ عيسى بن علي في البحرين مجدداً الصلة والمودة التي بينهما، ثم غادر البحرين إلى الكويت واستقام برهة من الزمن ثم خرج من الكويت مصمماً على إرجاع ملك آبائه مستعيناً بالله وحده وسالكاً طريق أجداده في إعلاء كلمة التوحيد ولم تشرق شمس الخامس من شوال ١٣١٩هـ الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٠٢م إلا والمنادي ينادي في مدينة الرياض الله أكبر الله أكبر الملك لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في ملحمة رائعة قلَّ لها مثيل [كم من فئة قليلة

غلبت فئة كثيرة بإذن اللـه واللـه مع الصابرين]

[البقرة ٢٤٩]

وبدخول عبد العزيز الرياض بدأت هذه الدولة المتسعة الأطراف والتي يحتفل هذه الأيام بمرور مائة سنة على قيامها وكانت هناك إمارتان شملتهما الفرحة بهذا النصر إحداهما الكويت والأخرى البحرين وكانت فرحة خالصة لوجه الله تحدوها المحبة والقربى وقد اهتم الشيخ عيسى اهتماما كبيراً بأخبار عبد العزيز وتابع انتصاراته في حروبه والرسائل المتبادلة بينهما تعطينا فكرة عما يكنه الطرفان لبعضهما البعض وأول رسالة سنشير إليها الرسالة المؤرخة في ٥ شعبان ١٣٢٠هـ الموافق ٢٩ ديسمبر ١٩٠٣م، أي بعد مضي تسعة أشهر من دخول الملك عبد العزيز الرياض كتبها للشيخ محمد بن عيسى آل خليفة نصها :

"من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأجل الأمجد المكرم الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة المحترم أدام الله بقاءه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

بعد مزيد السلام والسؤال عن ذاتكم العزيزة على الدوام أحوال محبكم من فضل الله جميلة وتقدم لكم قبل هذا كتاب نرجو أنه وصل وأنتم مسرورين الخاطر معرفينكم فيه من قبل ممشا بن رشيد يبي الرياض بعد ما وصل الحسى استشعر من بعض ناس يجونه إن ماله من قدومه فايدة، وأنا استقمت بالرياض أترجى أنه يقرب أو ينزلها حتى يصير مذبحة ، أو نل ما جاها أو يوم شفت إنه ما عاد هو ابقادم، ظهرت الموجب ضف عربانا وعلى عزم الممشا وجاه خبران ابن اسعود ما ظهر إلا ذال منك أو عدا يبي عربانا وأبطل الله من فضل الله كيده وجعل الله تدميره في تدبيره أو نزل الدلم أو ضفيت عربائي الحاضر منهم أو معنا أهل الفرع الحريق والحوطة وأهل الأفلاج والحاضرين من بدونا ونزلنا الدلم حنا بجنوبيها وهو بشماليها أو ظهرنا عليه أو نوخ أو عقل ولا ظهر من اخيامه أو بقينا إلى القايله بعد ما انكفينا مشي مقصودة ربما يحصل غره فينا أو فزعنا عليه على غير ملوى أو تقاضينا حن واياه قدر ساعة، يوم جا وقت العصر أعاننا الله وركضنا عليه وأكسره الله ثم كسرناه أو رما بخيله وباعره دون جموعه أو قضينا أو عقرنا

من البل مائة أو خمسين فرس أو يوم جا عند اغروب الشمس أعاننا الله وركضنا عليه وكسره الله ثم كسرناه والسالم من جوعه اركبوه رديف على خيلهم والى ولينا منهم مائة وخمسين رجال من دون الصوبا أو صويبهم يذبونه بالقلبان وهو حي وبعد ذلك لحقني خيال من الديرة أو ذكر لي أن باقي عربانا وصلوا، البدو، أو كفيت الجموع الموجب لأجل الخيل أو على عزم الممشا عليه الصبح بأخيامه يوم جا تالي الليل وإلا أنه يوم كبر الضوي أو قام يضرب بالمدفع أو ثبت عندنا أنه راكد ولا عنده نية يوم صلينا الفجر مشينا وقدمنا خيلنا قدامنا يوم وصلوه عينوه هاج تالي الليل أو مشينا ونزلنا في منزله أو روحنا له سرية أتسنعه وين غدا أو عينوه نازل بالسفايل لأجل يأخذ زهاب أو بعد ماجرنا مشينا بعد صلاة المغرب أو قلطنا اسبورنا قدامنا أو عينوه هاج العشا أو نزلنا في منزله بالسفايل لأجل نستلحق عربانا أو جيشنا نبي انتبعه بإثره وإنشاء الله عن قريب يجيكم الخبر إلى يسركم فلما رأينا من الله به علينا من ذل العدو حبينا بشرتكم.

وهذه رسالة أرسلت من الشيخ مبارك الصباح إلى أخيه عيسى بن علي مؤرخة ٢١ محرم ١٣٢٢هـ ومرفق بها رسالة من الملك عبد العزيز يخبر فيها ويصف وقعة الشنانه جاء فيها ما يلي :

لابد بلغكم سابقاً بمناوخنا حنا وبن رشيد على الشنانة والرس بخامس عشر رجب تحققنا أنه يشد من الشنانة وظهرنا عليه نهار شديده وهو قد شال ونوخناه من الفجر إلى غروب الشمس ويوم جاء المغرب سراً وخيلنا تطرده ونوخ بالبل على ماء يسمى القويعي حول الشنانة وقام عليه وبعد شد ونزل قصر ابن عقيل الظهر وأمرنا الله ومشينا عليه من الرس رجل قدر خمس ساعات بعد المحل المقصود هجاده ويوم برقنا خفنا نتغايب بالليل وعزمنا نغيب بالقصر ونكاونه إذا شد ويوم أصبح شد وعقب ما قل مشينا عليه ونوخ ما وراه من أطياب وعسكر وبدو وحضر وعقل وبنا بيوت الحرب وقام يضرب بالاطواب أربعة ضرب بها قدر مايتين طوب وتقاضبنا حنا وياه قدر ثلاث ساعات والرمي خادم وبعد ذلك أعاننا الله عليه.

وكسرهم الله ثم كسرناهم ويوم انصفقوا وإلا الكل قاضب رفيقه والبل والجيش والمضاهير مردفه لهم وتزبنوها

وحطوها بيننا وبينهم وألا كان ما شرد منهم أحد وذبحنا من أهل حايل ثلاثماية وخمسين ومن العسكر خمسمايه وجبة أطواب سته وجميع دبش شمر وجيش ابن رشيد والعسكر واخيامهم ما سندوا به أخذه الله ثم أخذناه ولا والله شرد لهم لا قليل ولا كثير السالم براسه والله أن جميع من حضر أنه أخذ أربعة أيام يشيلون حتى أهل قرايا القصيم المتشطرة لحقوا عقب يومين وأخذوا والخيل والله أن إلى جاء منهم أنه مايتين وستين فرس أكثرها عند الحضر والله أن يوسف بن إبراهيم زملته حمار وضلاله حصير وعشاه عقب ليله لقمة شعير العياذ بالله لهفته الشقاوة من فضل الله وبعد ذلك غدوا مثل أهل النار كل يلعن رفيقه وبن رشيد امتحن بالعسكر شريد تهم قالوا اختر إما المدينة ولا المشهد وإلا حطنا بحايل ولعاد نظهر للبر والحمد لله هذي عادة الله فيمن طغى وبغى وحال التاريخ تعدا بقيعا يمشون على أرجلهم وحنا بغينا نطلبهم ولا شك والله ما عينا أحد نطلبهم الحضر والبدو فضاهم الله بالكسب ولما رأينا من الله به أحببنا بشارتكم على يد ناصر بن سعود وإنشاء الله عن قريب يجيكم الخير بنزول حايل الله لا يتكلنا على جهدنا هذا ما لزم تعريفه والسلام . ٢٣ رجب ١٣٢٢هـ

عبد العزيز آل سعود

* * *

وبعد أن استعرضنا هاتين الرسالتين بنصهما كما كتبنا في تاريخهما وبنفس الأسلوب والكلمات لنعطي القارئ فكرة عن كتابة الرسائل في ذلك الوقت واللهجة والكلمات المستعملة التي ربما أن بعض كلماتها قد عفا عليها الزمن ولا يعرف بعض الاصطلاحات التي وردت فيها إلا القليل .

إن الدارس لتاريخ العرب يجد الترابط القبلي وأثره الواضح حتى يومنا هذا خاصة عند أهل نجد أو من نزح من نجد وهم يشعرون أنهم ينتمون إلى أب واحد وأنهم بنو عمومة يتناصرون لبعضهم البعض ويتفقون حين يداهمهم العدو وإن كانوا قبل لمختلفين. قال الشاعر العربي :

يقول عشيرتي قومي بلادي

همو ذخري إذا ما الدهر مالا

بهم أعتز أن عزوا وإلا

فمجدي باطل يحكي الزوالا

تحت هذه المعاني كانت صلة البحرين بالمملكة العربية السعودية حكاماً ورعية فإن كلا الأسرتين الحاكمتين في الدولتين تنتميان إلى قبيلة واحدة وأن الصلة صلة القرابة أوصى بها ديننا الحنيف في آيات متعددة من القرآن الكريم .

وسوف تجد آثار تلك الصلة في التشاور والنصح والتعاون بين آل سعود وآل خليفة بما يحفظ لرعاياهم من خير وأمن واستقرار ولبلادهم من سيادة واستقلال .

أولاً : ما توضحه الرسائل المذكورة بالبحث والمتبادلة بين المغفور لهما جلالة الملك عبد العزيز آل سعود والشيخ عيسى بن علي آل خليفة شاملة أبنائهما .

ثانياً : الزيارات الأخوية المتبادلة :

١ - زيارة الملك عبد العزيز للبحرين في أوائل مارس ١٩٣٠م يقول عن هذه الزيارة محمد المانع في كتابه توحيد المملكة العربية السعودية صفحة ١٩٠ بعد اللقاء الذي دار بين جلالة الملك عبد العزيز والملك فيصل بن الحسين ملك العراق والسير فرانسيس همفرز القنصل العام البريطاني في العراق على ظهر السفن في الخليج بعد انتهاء اللقاء أمر الملك عبد العزيز قائد السفينة التي كان يستقلها أن يتوجه إلى ميناء المنامة وأمرني أن أبعث ببرقيتين إحداهما للشيخ عيسى بن علي آل خليفة والثانية إلى القنصلية البريطانية في البحرين للإخبار بزيارته للشيخ عيسى آل خليفة وعند رسو السفينة في الميناء حوالي نصف الليل وصلت برقية جوابية من القنصل البريطاني في البحرين بأن الشيخ عيسى بن علي مريض ولا يستطيع مقابلتكم وفي نفس الوقت أخبر الشيخ حمد بأن الملك ألغى زيارته . استغرب الملك هذه البرقية وفي الصباح وصلت السفن الصغيرة إلى الباخرة وفيها الشيخ حمد وإخوانه لاستقبال الملك حيث والدهم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كبير في السن وانتقل من المحرق إلى المنامة لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز ولما وصلت السفن إلى الباخرة أخبرهم الملك بأنه قرر عدم النزول للبرقية المرسلة

وفي فترة الدعوة الإسلامية كانت هناك قبيلة أخرى قد استوطنت عمان لا تمت للأزد بصلة هي بن سامه بن لؤي[٢] . وارتحلت إلى البحرين الكثير من القبائل منها ما استوطنته واتخذته وطناً بديلاً وأخرى اتخذته كمنطلق للرحيل إلى منطقة أخرى . أدرك أهمية منطقة الخليج العربي الاستراتيجية حكام العراق الأوائل منذ أقدم العصور التاريخية كما سنرى . وكانت البحرين تمثل أرض السلام والفردوس الأرضي بالنسبة للعراقيين القدامى وهي الأرض التي، باعتقاد السومريين، اختارتها الآلهة لسكنى زيوسودرا (بطل الطوفان بالقصة السومرية والذي تسميه النسخة الأكدية للملحمة أوتونابيشتم) الأبدي الذي منحته الآلهة الخلود جزاءً له على الدور الذي أداه في الطوفان[٣] . وحتى ذكرت بردية هاريس الكبرى في عهد الفرعون رعمسيس الثالث (١١٨٢ - ١١٥١ ق.م.) أن هذا الملك قد أرسل إلى بونت (في الغالب الصومال الحالية) سفناً ضخمة مع سفن أخرى مرافقة لها أبحرت من بحر موقديئي الذي يطابقه الكثير من الباحثين مع الخليج العربي . فقد أمر هذا الفرعون المصري بصنع سفن كبيرة (معروفة باللغة المصرية القديمة باسم منيش) في كريكش (طرابلس في شمال سورية) من خشب التنوب أتى به من بلاد ناجا الجبلية التي جرتها له الثيران ثم أنزل السفن إلى نهر الفرات التي سارت به حتى الخليج العربي فبحر العرب إلى بونت[٤] . ولا نريد أن نكرر أهمية منطقة الخليج التي أدركها الإسكندر المقدوني (المتوفى سنة ٣٢٣ ق.م.) وتراجان الإمبراطور الروماني (حتى ١١٧م) ومن بعدهما . وعثر في قلعة البحرين على نقد باسم الإمبراطور كاوزو (٦١٨ - ٦٢٦م) من أسرة تان الصينية مدون عليها العبارة بالصينية مع السنة ٦٢٨ . وهي تدل على العلاقة بين البحرين والصين في هذا العهد[٥] .

ازدهرت في منطقة الخليج قديماً دويلات لا تزال معلوماتنا عنها يسيرة جداً ونأمل أن تضاعف الحفريات المستمرة من معارفنا عنها . فسرجون الأكدي مؤسس الدولة الأكدية (نهاية الألف الثالث ق.م.) يذكر في كتابة متأخرة له أنه وصل إلى دلمون التي لابد وأن دفعته إليها أهميتها وثراؤها البالغ . ولم يذكر لنا سرجون أي شيء عن حكام دلمون وطبيعة علاقته معها . غير أن

حفيده الملك نرام سين يذكر سيره إلى دلمون وأسره لملكها نتيجة انتصاره عليه واسمه، حسب قوله، منودنو (معناها باللغة الأكدية من هو الثوري) .

ولا نعرف هل هو اسم هذا العاهل الدلموني أو أن هذه ترجمة الاسم إلى الأكدية من لغة محلية . فإذا كان هذا هو اسمه الحقيقي فمعناه أن اللغة الأكدية كانت معروفة وشائعة الاستعمال في دلمون آنذاك . ودون شك لابد وأن عرف سرجون ومن ثم عرف عن دلمون فسار إليها ولابد أنهما قد اصطدما بجيش دلمون وعقدا اتفاقاً لم يصل إلينا بعد . وفي عمان التي سماها نرام سين جبل النحاس لغناها بهذا المعدن المهم وقتذاك والذي أكدت الحفريات الحديثة في عمان وجوده واستثمار الأقدمين له .

فغنى عمان نظراً لوجود النحاس وموقعها التجاري الذي جر عليها ثراءً وأهمية لابد وأن كانا أسباب غزو هذا الملك لها .وذكر اسم الملك العماني الذي اصطدم به وهو مانيوم . ولم يتعرض نرام سين إلى أي تفصيل عن علاقته مع مانيوم ودولته ولا عن كيانه السياسي . فكانت كل من دلمون وعمان دون شك دولة ذات كيان رصين يرأسها ملك لا نعرف عنهما الكثير في الوقت الحالي .

استمرت العلاقة بين دويلات الخليج وبلاد الرافدين خلال الفترات اللاحقة فقد استورد جودية حاكم لجش (قرب الشطرة في جنوب العراق) النحاس من عمان وكذلك زمن سلالة أور الثالثة (٢٠٥٠ - ١٩٥٠ ق.م.) حيث زادت العلاقة التجارية زيادة ملحوظة . وإن ثراء المنطقة في العصر الأشوري المتأخر واضح في المواد الكثيرة التي نقرأ عنها في النصوص المتوفرة عن هذه الفترة خاصة من العصر السرجوني المتأخر (٧٤٥ - ٦١٢ ق.م.) ولنا خير دليل من الجزى التي كانت تقدم إلى الملوك الأشوريين وممتلكات مردوخ أبال ادّينا الكلداني من بيت يقين (الكويت الحالية) التي تركها . وكذلك من نصوص الفترة الكلدانية (٦٢٥ - ٥٣٨ ق.م.) والتي تعرف عن تجارة منطقة الخليج العربي بها واستيرادها من شرق أفريقية والهند بوجه خاص .

لم تقتصر الكيانات السياسية في منطقة الخليج على تلك الفترات القديمة

سواحل الخليج العربي دون توقف . فقد كان عرب الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت الإسلام على معرفة بمناطق الخليج وأحوالها نرى ذلك موضحاً بأشعارهم وتنقلاتهم . فقد ذكر امرؤ القيس جبلي سنار ويذبل في البحرين :

على فطن بالشيح أيمن صوبه
وأيسره عند السنار ويذبل

ويظهر أن امرؤ القيس كان عارفاً وملماً بأحوال البحرين . فقد تعرض إلى أقوام كانوا يعيشون في البحرين أمثال بني يامن من هجر الذين اشتهروا ببناء وركوب السفن وزرع النخل وفي بيت تعرض امرؤ القيس إلى استخدام الأخيرين لبني الربداء الذين نسبوا إلى الحبشة لحماية نخلهم :

أو المكرعات من النخيل بن يامن
عرين الصفا اللائي يلين المشفرا
حمته بنو الربداء في آل يامنٍ
بأسيافهم حتى أفر وأوقرا
طافت به جيلان عند قطاعه
تردد فيه العين حتى تحيرا

وقيل أن الجيلان هم قوم استخدمهم كسرى فارس في البحرين ليزرعوا له النخل ويعتنوا به . كما ورد في شعر امرئ القيس ذكر ابراجم ويربوع وهما قبيلتان من تميم كانوا قد خذلوا شرحبيل بن عمرو يوم كلاب فدعا عليهم بالذل :

ألا قبح الله البراجم كلها
وجدَّع يربوعاً وعفَّر داريا

ويحفظ لنا التاريخ سكنى رجال ذوي قيمة ومركز كبيرين في البحرين ومنهم عدي بن زيد وهو الشاعر المسيحي من العصر الذي سبق الدعوة الإسلامية الكريمة . وقد استوطن عدي الحيرة عاصمة المناذرة بالعراق وقربه الفرس وقيل أنه أول من كتب باللغة العربية في إيوان كسرى بالمدائن عاصمة الفرس الشتوية ، (تقع أطلالها على بعد حوالي ٢٠ كم جنوب بغداد) ، وذكر أنه ظل بعد اعتزاله يقيم في الحيرة شتاء وفي البحرين صيفاً لحبه ديار بني يربوع وتميم . ومما زاد من مكانة عدي هو زواجه من هند ابنة النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

كما استوطن في البحرين الشاعر المخضرم قيس بن الخطيم، وكان شاعراً مطبوعاً أعجب بشعره الرسول الكريم . فنقرأ في رواية أن قيساً هذا قد فتك

بقاتل والده وكان رجلاً اسمه العبدي بن عبد القيس سكن في نواحي هجر بالبحرين . فقد وصل قيس إلى دياره وقتله بمعونة شخص اسمه خداش[8] . كما زار البحرين أيضاً خلال الفترة التي سبقت الإسلام الشاعر ميمون المكّني بأعشى قيس لضعف بصره التي عرج منها على عمان أيضاً حيث قال :

وقد طفت للمال آفاقه
عمان فحمص فأوريشليم

وقوله :

فإن تمنعوا منا المشقر والصفا
فإنا وجدنا الخط جم نخيلها
فإن لنا درني فكل عشية
يحيط إلينا خمرها وخميلها

وسرت المقولة أن البيع في سوق المشقر بالبحرين كان يتم بالإطراء والهمهمة أي عدم القسم كذباً أو بعلامة البضاعة المباعة . وهذا يدلل على حسن المعاملة في هذا السوق من قبل تجاره والثقة اللامتناهية بالتعامل به . واشتهرت مدينة دارين بالبحرين بسوقها وتجارتها حيث كان يحمل إليها المسك من الهند حتى أن العطار باللغة العربية سمى دارين على اسم هذه المدينة نظراً لشهرتها . وروي عن الرسول الكريم القول "مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يحذك في عطره علقك من ريحه".

ربما أسكنت الدولة الساسانية منطقة الخليج بأقوام أجنبية اعتمدت عليهم في السيطرة والإدارة . ومن هؤلاء الزط حيث كان لهم مركز في البحرين كثر به عددهم قبل البعثة النبوية الكريمة . ويبدو أن الزط كانوا يتضامنون مع العرب أحياناً ضد عدو مشترك . فالزط في البحرين حالفوا قبيلة عبد القيس . وورد في بيت إلى عوهم بن عبد الله بذلك :

ويُغني الزط عبد القيس عنا
وتكفينا الأسامعة المزونا

كما حالف الزط قبيلة تميم وناصروهم في حروبهم القبلية حيث ورد في قول الشاعر:

فجئنا مجيبي وائل وبلفها
وجاءت تميم زطها والأساور[9]

والزط من الأقوام الهندية المحاربة الذين وصلوا منطقة الخليج العربي من البنجاب وبلوجستان وسكن بعضهم المدن والقرى على طول الساحل من الأبلة إلى عمان . وكانت دولة بني ساسان تستخدمهم في جيشها مما يعزز

وكنـا أناسـاً خـافضين لنعمـة
يسيل بنـا تلـع المـلا وأبارقـه
فأقسمت لا أحتـل إلا بصهـوة
حـرام علينـا رملـه وشقائقه
فأقسمت جهداً بالمنازل من منى
وما خب في بطحـائهن درادقـه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلتم
لانتحين العظـم ذو أنا عارفـه

فوصل الشعر لعمرو بن هند وحرضه زرارة بن عدس على الانتقام لأنه يتوعده في شعره .فغزا عمرو قبيلة طي وأسر من بني عدي (بطن من طي) سبعين رجلاً . ومرة كان المنذر بن ماء السماء (والد عمرو بن هند) قد ترك ولده مالك عند زرارة . ولما صار مالك رجلاً مر بابل لسويد بن ربيعة (من دارم وهي بطن لتميم) زوج ابنة زرارة فأساء معاملة مالك حيث شد عليه بعصا حتى مات . وهرب سويد خوفاً من الانتقام . فانتهزت طي الفرصة لتوقع بين عمرو بن هند وبين زرارة بسبب قتل صهره لأخ الملك . وأخيراً سلم زرارة نفسه لعمرو الذي أخبره باستحالة إحضار سويد القاتل فطلب عمرو بدله أولاد سويد السبعة فقتلهم وأحرق ثمانية وتسعين رجلاً من بني دارم بأسفل جبل أوارة . وعرف هذا الحرق بيوم أوارة الثاني . وعلى أثر ذلك غزت تميم قبيلة طي انتقاماً[١٩] .

ثم المعركة بين بني عامر وتميم، حيث انتصرت بنو عامر في يوم رحرحان وأسروا جماعة من أشراف تميم كان منهم معبد بن زرارة الذي طلبت بنو عامر فدية كبيرة لإطلاق سراحه . ولما رفض أخو معبد واسمه لقيط دفع أكثر من الفدية المقررة تركه بنو عامر حتى مات جوعاً . فشن لقيط حرباً على بني عامر للثأر لأخيه وساعدته بذلك قبائل بنو أسد وشيبان وأرسل إليه الجون الكلبي ملك هجر والنعمان بن المنذر بجيشين وانتصرت بنو عامر في يوم شعب جبلة[٢٠] .

من أيام العرب التي وقعت معاركها في منطقة الخليج في الغالب كانت يوم الوقيط الذي يقع بمكان ما على الساحل بين تميم من جهة وقبائل غزة وتيم اللـه وقيس من جهة أخرى . ويوم ثيتل (ويسمى يوم النباج) الذي وقع على الأكثر في الكويت الحالية بين بطون من تميم تسمى المتاعس وتضم صريم، ربيع وعبيد وبني الأجارب (تضم بطون جما، ربيعة، مالك والأعرج) . ويوم جدود ربما

في مكان بالأحساء الحالية عندما هزمت بنو فقر كلاً من بني الربيع وبكر بن وائل[٢١] . ثم يوم ذي طلوح سمي نسبة إلى موقع يقع على الأرجح في منطقة الخليج العربي بين بطون من بني يربوع من جهة وبكر بن وائل من جهة أخرى . نتيجة مشادة بين عميرة بن طارق من بني يربوع مع أخ زوجته أبجر بن جابر من بني عجل (بطن من بكر) .

ويوم الأياد (سمي يوم العظائي أيضاً) نتيجة هجوم بطون من بكر بن وائل على بطون من تميم عند موقع الأياد في الغالب بمنطقة الخليج العربي . ثم يوم الغبيط عند موقع الغبيط بمنطقة الخليج باتجاه اليمامة . وكان السجال نتيجة غزو بسطام الشيباني ومعزوق بن عمرو مع جماعة من شيبان لبلاد من تميم وكانت خسارة للشيبانيين . ويوم قشاوة عندما غزا بسطام من بني يربوع مع جماعة من بني شيبان وكان الفوز للأخيرين . ويوم زبالة عندما أغارت جماعة من تميم برئاسة شخص اسمه الأقرع على بكر بن وائل الذي لم تفلح به تميم . وموضع زباله ربما بين الكويت والأحساء . ثم معركة مبايض بين شيبان من جهة وتميم من جهة أخرى وكان النصر النهائي للأخيرة[٢٢] .

ومن المعارك المهمة يوم الزويرين بين بكر بقيادة عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني من جهة وتميم من جهة أخرى، وقد دفعت تميم ببعيرين بمياه الزويرين (الزورين) في وسط المعركة وأخذوا يدورون حولهما تعبداً . وأحضرت بكر برجل مسن منها يدعى الأصم كانت تحترمه ووضعوه مقابل الزويرين . وقد انتصرت بكر وذبحت البعيرين . ثم معركة الشيطين (الشطين) وقعت بمنطقة الخليج في الطريق إلى اليمامة والشيطين واديين أجدبا فهجرتهما بكر بن وائل إلى العراق وسكنت مكانهم بطون من تميم . وحدث أن أخصب الشطين وأجدبت أراضي بكر في العراق فتوجهت لاسترجاع أراضيها الأولى من تميم وكان النصر حليف بكر . أما معركة ذي نبجي فكانت بين تميم من جهة وبني عامر من جهة أخرى وكان النصر حليف تميم[٢٣] . ثم المعركة بين قضاعة وكندة بقيادة رئيسها حجر آكل المرار عندما هجمت الأخيرة على البحرين وكان النصر في البداية حليف قضاعة فسبي نساء كندة التي كانت

أوال، واستمر وجود القرامطة في عصر ابن حوقل[11] الذي ذكر بقايا نسلهم من أبي سعيد وكانوا نحو أربعمائة نسمة بين رجل وامرأة، وهذا يعني وجود الفرس في البحرين، لأن أصل القرامطة يعود إلى مدينة جنابة[12]، وهي مدينة تقع على الساحل الشرقي للخليج العربي، وعرف كل من أبي سعيد الحسن بن بهرام وولده أبي طاهر سليمان بـ : الجنابي، نسبة إلى مدينة جنابة[13]، واتخذ القرامطة أيضاً الاحساء وهي قصبة هجر مستقراً لهم، وهم آل أبي سعيد الجنابي، كما اتخذوا من جزيرة أوال وسائر المدن على البحر أو القريبة منه مستقراً لهم[14]، وعدت هجر من ديار القرامطة، ومقامهم في دارهم[15]، وذكر ابن حوقل[16] بعضاً من رسومهم منها "ركوب مشائخهم وأولادهم فرادى فيجتمعون إلى قبلة الاحساء بالمكان المعروف بالجرعاء، ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذاً بغاية التواضع، وقد لبسوا البياض لا غير. وكان من رسومهم أن تقع سوراهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما فدحهم وأهمهم، فإن اتفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأشفهم منزلة عندهم".

ولم تزودنا المصادر الجغرافية الأخرى بمعلومات عن حياتهم الاجتماعية بما في ذلك عاداتهم وتقاليدهم وطباعهم مما يشكل لدينا صوراً من حياتهم اليومية.

ومما لا ريب فيه أن الفرس شكلوا جزءاً من سكان البحرين، منذ أن سيطرت بلاد فارس على هذا الجزء الحيوي المهم في خليجنا العربي الأشم قبل الإسلام وانتهت سيطرتهم بظهور الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية التي حررت أجزاء واسعة في أرضنا العربية الشماء من السيطرتين الفارسية والبيزنطية، وحلت سيادة العرب محل تلك السلطة الأجنبية ونشرت الإسلام في ربوعها، فكان المجوس عبدة النيران والأسبذيين الذين كانوا يعبدون الخيل ضمن الجاليات الفارسية التي استقرت في البحرين قبل الإسلام، فضلاً عن وجود الجيلان وهم قوم من أبناء فارس انتقلوا إلى البحرين من نواحي اصطخر[17] كما توجد إشارة إلى استقرار (السنابرة) ويبدو من تسمية أحدهم

(سابور) أنهم من أصول فارسية، وكان للسنابرة خمس الأموال الواردة إلى البحرين أيام سيطرة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي وولده أبي طاهر سليمان، إذ كان خمس الأموال لصاحب دعوتهم أي الداعي أو الإمام الناطق باسم القرامطة، وهو رجل الدين عندهم المسمى : صاحب الزمان، وثلاثة أخماس لولد أبي سعيد المذكور والخمس الباقي للسنابرة يستلمه ممثلهم أبو محمد سنبر بن الحسن بن سنبر، ووصف بأنه كان أكمل القوم وأشدهم، متمكناً من نفسه، وكانت أسرته من ولد أبيه وولده نحو عشرين رجلاً[18] .

وشكل اليهود والنصارى جزءاً من سكان البحرين، ويشير البلخي[19] إلى أن البحرين أكثر يهوداً، لأنها ليست من الحجاز، ولسنا نعلم على وجه الدقة العنصر الذي ينتمي إليه اليهود والنصارى في البحرين، هل هم من العرب أم من شعوب أخرى استقرت في البحرين قبل التحرير العربي الإسلامي لها بمدة من الزمن، إذ سكتت المصادر المتوفرة لدينا عن إيضاح هذه المسألة المهمة.

وأشار الجاحظ[20] إلى أن سبب استفاضة النجدة في جميع أصناف الخوارج وتقدمهم في ذلك، يرجع إلى التزامهم بالدين، فكان عبيدهم ومواليهم ونساؤهم يقاتلون مثل قتالهم، كما كان الرجل المسلم من العرب سواء أكان يمانياً أو بحرينياً أو جزرياً، وكذلك إباضية عمان من العرب وما كان من غير العرب مثل السجستاني وإباضية تاهرت كان هؤلاء جميعاً متساوون في القتال والنجدة وثبات العزيمة والشدة في البأس، على الرغم من اختلاف أنسابهم وبلدانهم، وفي هذا دليل على أن الذي ساوى بينهم هو التدين بالقتال . ويوضح لنا نص الجاحظ مدى تأثير الإسلام على سكان البحرين، فأصبحوا مقاتلين أشداء للذود عن قيم ومبادئ هذا الدين العظيم وحمل رسالته، وكان أهل البحرين أخوة في الإسلام مع إخوانهم العرب من أهل اليمن وجزيرة العرب وعمان، فضلاً عن إخوانهم المسلمين من غير العرب، وعلى الرغم من اختلاف المذاهب، إلا أن الجميع متساوون في القتال والنجدة لأن الدين ساوى بين الجميع بغض النظر عن أصولهم العرقية ومذاهبهم الدينية وقد

فإنها أكثر هذه البوادي أحياءً وقبائل، وأكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة، ثم من ورائهم عبد القيس" .

وهكذا يتضح لنا أن قبيلة تميم اتخذت من بادية البصرة التي تمتد لتتصل مع البحرين واليمامة داراً ومستقراً لها، وكانت منازل وديار عبد القيس وراءها، أي تبدأ من اليمامة التي تشغل الحدود الغربية للبحرين وتمتد جنوباً نحو بادية عمان . وشمالاً إلى سواحل الخليج العربي، فتشمل الخط والقطيف وساحل هجر .

تعد قبيلة عبد القيس بن أفصى من القبائل العربية المعروفة التي استقرت في البحرين وارتبطت بتاريخها ارتباطاً وثيقاً، فصارت جزءاً من تاريخ البحرين السياسي والعسكري والثقافي خلال العصور الإسلامية الوسطى، وتوزعت هذه القبيلة وفروعها في أنحاء متفرقة من الرقعة الجغرافية الواسعة التي قامت عليها بلاد البحرين .

أشار الحربي(٢٦) في معرض حديثه عن المنازل الممتدة من البصرة إلى البحرين، إلى استقرار فروع من قبيلة عبد القيس ففي هجر منبران أحدهما منزله (نحم أهجر) في مملكة ابن عياش من عبد القيس، والمنبر الآخر في مملكة موسى بن عمران بن الرجاف، ومنزله جبلة أسفل هجر، وساكنها عبد القيس . وفي العقير - وهي فرضة العين وعمان والبصرة واليمن على ساحل الخليج العربي - منبر لبني الرجاف من عبد القيس، وبين جبلة والعقير مرحلتان خفيفتان، أي بحدود ١٢ فرسخاً، وتساوي المسافة بينهما بحدود ٧٢ كيلومتراً تقريباً .

ومن منازل عبد القيس التي ذكرها الحربي أيضاً : الزارة وهي من موانئ الخليج العربي، كان حاكمها أحمد بن سالم العبدي وهو رئيس أهل القطيف وسكانها عبد القيس . . ثم القليعة وهي أيضاً لأحمد بن سالم، مدينة كبيرة بها منبر، وهي مدينة بدو، يسكنها بنو سعد، والمملكة لعبد القيس .

أوضح لنا الحربي عدة مدن وموانئ مهمة كانت مستقراً لقبيلة عبد القيس، واتخذت هذه القبيلة عدة ممالك، منها مملكة ابن عياش في هجر، وآل عياش حكام البحرين الذين ورد ذكرهم في شعر

لابن المقرب العيوني شاعر البحرين، وهكذا سيطرت عبد القيس سيطرة متميزة على أجزاء واسعة ومهمة من بلاد البحرين، وأقامت لها ممالك في المناطق المهمة مثل هجر وجبلة والعقير والزارة والقليعة .

ومن بطون عبد القيس المشهورة : بنو محارب الذين كانت لهم سيطرة ووجود متميز في أرجاء متعددة من البحرين، ذكر ابن الفقيه [٢٧] قرى في البحرين عددها ٢٢ قرية كانت موزعة في بادية البحرين وعلى ساحل الخليج العربي، وبمعنى آخر أنها كانت موزعة بين أرض الصحراء وأرض الماء، وهذه القرى تعود إلى بني محارب بن عمرو بن وديعة، أي أنهم كانوا يشكلون سكانها المستقرين فيها، أما قرى أبناء عمومتهم بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة، فهي أضعاف هذه القرى، لكنه - مع الأسف - لم يذكر لنا أسماء تلك القرى .

وذكر الهمداني الطريق من الاحساء إلى حدود عمان، ومن منازله (الخن)، وهو موضع على يمين البحرين ودونها يبرين، والخن لبني ودعة [٢٨]، ولعلهم بنو وديعة فرع من بني محارب من عبد القيس .

رسم لنا الهمداني [٢٩] صورة واضحة لتوزيع قبائل عبد القيس، ابتدأ بمدينة البحرين الكبرى هجر، ووصفها بأنها سوق بني محارب من عبد القيس ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين، وهذا يعني أن بني محارب كانوا منتشرين في قرى كثيرة في البحرين، ونحن نعجب أن يسمي الهمداني مدناً كبرى كالقطيف مثلاً بهذه التسمية، إذ يطلق على القطيف : "قرية عظيمة الشأن" وهي ساحل أي ميناء ساكنها جذيمة من عبد القيس وسيدهم ابن مسمار ورهيطة [٣٠]، ثم العقير من دونه وهو ساحل وقرية دون القطيف ويسكنه العرب من بني محارب، ثم السيف سيف البحر وهو من أوال على يوم، وأوال جزيرة وسط البحر .

إن ما ذكره الهمداني يعد نقلاً لما ذكره الحربي فيما يتعلق بتوزيع استقرار قبيلة عبد القيس وفروعها مثل جذيمة وبني محارب، في مدينة هجر، وهي عاصمة البحرين في عصره، وفي توابعها

التي سماها : قرىً على ساحل الخليج العربي .

وزودنا المسعودي[٣١] بصورة واضحة عن توزيع القبائل العربية في البحرين، ويهمنا بهذا الخصوص ما يتعلق بقبيلة عبد القيس وبطونها، ففي القطيف سكن علي بن مسمار وأخوته، وهم من عبد القيس، وقتل علي في المواجهة مع أبي سعيد الجنابي القرمطي الذي غزا البحرين واستولى على مدنها المهمة، على الرغم من امتلاك أهل البحرين وسائل القوة والمقاومة، خصوصاً امتلاكهم السلاح، ومن مدن البحرين : صفوان وبها بنو حفص، وهم من عبد القيس، وجواثا وكان بها العريان بن الهيثم الربعي الذي قاد العرب من عبد القيس وبني عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وغيرهم ضد علي بن محمد قائد الزنج الذي ظهر في البصرة وامتد نفوذه وسيطرته إلى البحرين، وتمكن من طرد صاحب الزنج من البحرين ونواحيها، ومن مدن البحرين الكبرى : هجر، وهي أعظم مدن البحرين، وكان بها عياش بن سعيد المحاربي رئيس بني محارب وحاكمها قبل احتلالها من قِبَل القرامطة، ووصف بأنه : "كان أعظمهم عدة وأشدهم شوكة" .

ومن بطون عبد القيس لكيز بن أفصى بن عبد القيس الذين سكنوا السيف وهي ضفة البحرين أي ساحلها، روى الهمداني[٣٢] شعراً جامعاً لكثير من مساكن العرب ومسالكها، من ذلك قول الأخنس بن شهاب التغلبي يذكر بعض منازل العرب من جزيرة العرب :

لكل أناس من معد عمارة
عروضي إليها يلجأون وجانب
لكيز لها البحران والسيف كله
وإن يأتها بأس من الهند كارب

أراد الشاعر بالهند هنا السند، ويقال البصرة، ويوضح لنا استقرار بطن لكيز بن أفصى من عبد القيس في ساحل البحرين .

يتضح لنا من استقرار وانتشار قبيلة عبد القيس وتوزع بطونها في أرجاء متعددة من بلاد البحرين الواسعة، أنها تمتعت بشهرة ومكانة متميزة فيها، إلى درجة أن البحرين اقترنت بذكر قبيلة عبد القيس، والنسبة إليها : العبقسي

وقد أشار ابن الفقيه[٣٣] إلى توزيع القبائل العربية في بلاد العرب بقوله : "واليمامة لبني حنيفة والبحرين لعبد القيس والجزيرة لبني تغلب" فالبحرين اقترنت بقبيلة عبد القيس وعرفت واشتهرت بها أكثر من غيرها .

أما ديار بكر بن وائل فقد امتدت من اليمامة إلى البحرين إلى سيف (ساحل) كاظمة إلى البحر، ثم إلى أطراف سواد العراق فالأبلة فهيت[٣٤] وهذا يوضح أن ديار بكر بن وائل كانت واسعة الامتداد بحيث شملت اليمامة والبحرين حتى ساحل كاظمة على الخليج العربي - وهو الحد الفاصل بين العراق والبحرين - ثم امتدت داخل سواد العراق في الأبلة إلى هيت . وهذا الحصر غير صحيح وغير دقيق .

ومن القبائل العربية التي استقرت في البحرين قبيلة الأزد العربية المشهورة، كان موطنها الأصلي اليمن ثم هاجرت إلى سواحل الخليج العربي والهلال الخصيب فأجزاء أخرى من بلاد العرب كانت البحرين إحداها[٣٥] ، وأورد الهمداني[٣٦] قول بعض آل سعد بن ملكيكرب تبع وذكر منازل من خرج من اليمن في سائر جزيرة العرب وغيرها :

وأزد لها البحران والسيف كله
وأرض عمان بعد أرض المشقر
ومنا بأرض الغرب جند تعلقوا
إلى بربر حتى أتوا أرض بربر

ثم أورد شعراً لعبد الله بن عبد الرحمن الأزدي يذكر فيه افتراق الأزد، ويوضح لنا الشعر في البيتين أولاً استقرار قبيلة الأزد في البحرين وساحل الخليج العربي كله، فضلاً عن استقرار الأزد في أرض عمان بعد أرض المشقر، وهي جزء من البحرين في ساحل هجر على الخليج العربي ، كما أن بعض الأزد هاجروا إلى الساحل الشرقي لأفريقيا التي سماها الشاعر أرض الغرب وأرض بربر .

ومن سواحل الخليج العربي التي استقر فيها الأزد، الزارة الميناء المشهور، كان بها الحسن بن العوام من الأزد[٣٧] ، وذلك أثناء هجوم الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي على البحرين ونواحيها .

استقرت قبائل عربية أخرى في بلاد البحرين، ففي صحراء يبرين، وهي أرض منقطعة بين الرمال، لها طريق إلى اليمامة وإلى البحرين في الرمل، سيطرت قبيلة قشير عليها ، ثم أخرجت القرامطة

بني قشير عنها[٣٨]، وبذلك استقرت قبيلة قشير في الجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي، المسمى : رمل بني سعد، ويفصل يبرين عن البحر الرمال، وهي شرقي اليمامة باتجاه عمان .

وفي جزيرة أوال استقر العرب من بني معن وبني مسمار وخلائق كثيرة من العرب[٣٩]. ونرجح أن الكثافة السكانية في هذه الجزيرة كانت كبيرة لوقوعها على الخليج العربي، ولأنها كانت مركزاً للنشاط البشري الاقتصادي، كونها إحدى مغاصات اللؤلؤ، فضلا عن نشاطها التجاري، لأنها كانت الجزيرة الكبرى التي سميت البحرين قديما باسمها : جزيرة أوال .

ومن القبائل المشهورة التي استقرت في البحرين قبيلة بني تميم، وقد ذكرنا وصف الاصطخري وابن حوقل[٤٠] لبادية البصرة، التي كانت أكثر البوادي أحياءً وقبائل، وأكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة، ومن ورائهم عبد القيس . ولاشك أن بادية البصرة تتميز بسعتها وامتدادها الجغرافي حتى تتصل بأرض البحرين واليمامة في بلاد نجد، لأن البحرين من نجد .

توزعت قبيلة تميم وفروعها وبطونها في أرجاء متعددة من البحرين، ففي منازل الطريق من البصرة إلى البحرين، كانت أول مدينة يتم دخولها منبر بتاج، وتبعد أربع عشرة مرحلة، ساكنها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، ثم الاحساء وهي لبني سعد، وفي يبرين منبران، ساكنها بنو سعد بن زيد مناة، ومنبر بالفيل لبني جعدة، ومنبر بالقليعة وساكنها بنو سعد[٤١] .

وكانت جبلة ضمن منازل الطريق من البصرة إلى البحرين، لكن الاصطخري[٤٢] ذكر حصن جبلة في آخر وادي ستارة، الواقع بين بطن مُر وعسفان عن يسار الذاهب إلى مكة، وبجبلة كانت وقعة لبني تميم في بكر بن وائل . ولم يحدد لنا الاصطخري تاريخ تلك المعركة وأسبابها واكتفى فقط بانتصار بني تميم على بكر بن وائل .

ومن منازل بني تميم في البحرين الاحساء، وهي منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم، وكان سوقها على كثيب (مرتفع) يسمى : الجرعاء، تتبايع عليه العرب[٤٣]، ثم الستار

ويسمى : ستار البحرين وهو منادى بني تميم فيه متصلة البيضاء[٤٤] .

زودنا لغدة الأصفهاني[٤٥] بمعلومات قيمة عن قبيلة تميم وبطونها وديارها التي استقرت فيها في البحرين وشبه الجزيرة العربية وامتداد وتداخل تلك الديار ضمن الإقليمين ونواحيهما، فذكر أن أعظم بلاد تميم هي الوشم، والدهناء والجواء والصمان والدو والسيدان والهاه وغر ويبرين وفلج وفليج والحزن، وهذه المناطق تتداخل ضمن بادية شبه جزيرة العرب وبادية البصرة التي تمتد نحو البحرين، كما يتضح من تسميات الدهناء ويبرين والفلج وهو حفر الباطن المعروف بـ : حفر أبي موسى الأشعري وهو وادٍ عظيم يشق أسفل نجد من قرب الدهناء ويمتد إلى الزبير في العراق، والفليج أيضاً وادٍ تصب مياهه من السيول في حفر الباطن، وهما فليجان الشمالي يقع شمال فلج (الباطن) والجنوبي يقع جنوبه، ويفيض سيلهما في المكان الذي يقع فيه الحفر .

وبخصوص إحدى بطون تميم، ذكر الأصفهاني[٤٦] أيضاً عن سعد بن زيد مناة أن أقصاها يبرين قرب عمان، ينزله منهم بنو عوف بن سعد، وناس من بني عوف بن كعب، وأخلاط سعد، وهؤلاء كلهم متصلون إلى الاحساء التي تقع قريباً من هجر على مسافة ميلين (أكثر من ٣ كيلومترات) ينزلها أخلاطهم، وبها سيدهم وعاملهم إبراهيم بن موسى .

ويتضح لنا امتداد بني سعد بن زيد مناة إحدى بطون تميم في رقعة جغرافية واسعة من يبرين إلى الأحساء ويمثل الأخير إقليماً واسعاً يمتد على الساحل الغربي للبحر العربي الشرقي من عمان إلى قرب كاظمة، وقصبته هجر، التي كانت تطلق على الاحساء كلها، ويبرين ما يزال معروفاً في غرب الاحساء مشهور فيه مياه ونخيل كثيرة .

وبخصوص بني مالك بن سعد من بطون تميم أيضاً، ذكر الأصفهاني[٤٧] أنهم متصلون إلى سفوان من يبرين، والمسافة بينهما أكثر من مسيرة شهر، وعرضهم من البحرين إلى الدهناء وأما بنو عبد الله بن دارم فليس لهم في البادية إلا (القرعاء) وهي ماءة أسفل من الصمان تقع بينه وبين الدو[٤٨] . وكانت القرعاء لرجل من بني تيم الله بن ثعلبة يقال له : الأقرع .

وذكر السعودي في ديار بني سعد من تميم : الظهران والاحساء (إقليم) وكان بها بنو سعد من تميم(٤٩) . ويعني ذلك أن الظهران كانت مدينة من مدن البحرين، وتقع اليوم غرب مدينة (الخبر) السعودية الساحلية على بعد عشرة كيلومترات منها .

عرفت واحة يبرين بأنها من ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وأطلق اسم يبرين على الجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي نسبة إلى تلك الواحة الواقعة على ذلك الطرف، كما يطلق على هذا الجزء أيضاً : رمل بني سعد نسبة إلى قبيلة بني سعد بن زيد مناة بن تميم، التي سكنت تلك المنطقة، وامتدت ديارها إلى قطر وعمان والساحل الغربي للخليج العربي حتى البصرة(٥٠) .

وذكر الهمداني منازل بني تميم دون تحديد بطونها، وهي : النقار وكاظمة ومسلحة والنقيرة والسودة ووادي أبي جامع والجاشرية والقرنتان وهي ضمن أرض البحرين(٥١) ، ونرجح أن هذه المنازل كانت في بادية البصرة التي تمتد وتتداخل مع أرض البحرين، وهي منازل تميم المشهورة .

تبين لنا مما سبق أن القبائل العربية استقرت في البحرين منذ عصور قديمة سبقت ظهور الإسلام، وانتشرت على أرض بلاد البحرين الواسعة الامتداد، وقد أوضحنا في بداية هذه الفقرة ذلك الانتشار بين العراق وبلاد الشام واليمن، وكانت ديار القبائل العربية في أكثر من إقليم وقسم من أقسام بلاد العرب متجاورة ومتداخلة ومختلطة بعضها ببعض، ذكر الهمداني(٥٢) في حديثه عن الخضرمة عاصمة اليمامة وهي : جو الخضارم أنها مدينة وقرى وسوق فيها بنو الأخيضر بن يوسف، وهي دار بني عدي وبني عامر بن حنيفة ودار عجل بن لجيم وديار هوذة بن علي السحيمي الحنفي، وهي أول اليمامة من قصد البحرين . فهذا يدل على أن تلك القبائل كانت على اتصال مستمر مع البحرين وعربها من أبناء القبائل العربية بحكم التجاور وما يتبع ذلك من مصالح مشتركة، ضمن ديار العرب الواحدة . التي تقاسمت الاستقرار والرعي والعمل التجاري والمصالح الأخرى بين قبائلها المنتشرة في ربوعها .

المحور الاقتصادي

تشكل الحياة الاقتصادية عصب النشاط البشري للسكان في أي مجتمع وخلال العصور التاريخية المختلفة، إذ لابد من توافر الأرض أي الوطن الذي يستقر فيه السكان، ويمارسون نشاطهم الحياتي اليومي الذي يوفر لهم أسباب العيش واستمرار الحياة، فالاقتصاد هو عصب الحياة لكل المجتمعات، ومن المؤسف أن المصادر الجغرافية لم تعن كثيراً في وصف الحياة الاقتصادية في البحرين ولم تزودنا إلا بمعلومات مقتضبة وموجزة لبعض أوجه النشاط الاقتصادي، ومع ذلك توجد نصوص ذات أهمية في إعطاء صورة موجزة عن ذلك النشاط الذي مارسه سكان البحرين خلال المدة موضوع البحث .

لقد كان لموقع الخليج العربي عموماً وصلاته مع العالم، وموقع البحرين خصوصاً على الخليج العربي، أهمية متميزة انعكست على تاريخ البحرين خلال العصور الإسلامية، لأنه يمتد من كاظمة شمالاً إلى عمان جنوباً بمحاذاة سواحل الخليج العربي الغربية، وهي السواحل الشرقية لشبه جزيرة العرب، وكان لهذا الموقع أثره المتميز في قيام الموانئ والفرض التي مارست نشاطاً تجارياً مع مختلف دول العالم، وكان لذلك النشاط مردوده الاقتصادي في تطور تلك الموانئ وتوسعها وممارستها النشاط التجاري مع مختلف أنحاء العالم والاختلاط بمجتمعاتها المتنوعة .

اشتهرت البحرين بعدد من الموانئ في ساحل هجر مدينة البحرين الكبرى، أي عاصمتها، وعرفت بأنها : أعظم مدن البحرين - كما ذكرنا، منها العقير وهي فرضة أي ميناء العين وعمان والبصرة واليمن على ساحل البحر، أي ساحل الخليج العربي، ثم الزارة وهي فرضة أي ميناء من موانئ الخليج العربي(٥٣)، وهذا يعني وجود العديد من الموانئ التابعة للبحرين، وهي ذات نشاط

تجاري متميز يوفر للبحرين الكثير من الواردات المالية .

ويشير الهمداني[٥٤] إلى موانئ البحرين فيبدأ بهجر مدينة البحرين العظمى، وهي سوق بني محارب من عبد القيس، والقطيف وهي قرية عظيمة الشأن وساحل ثم العقير من دونه وهو ساحل وقرية دون القطيف ثم السيف سيف البحر ولعله سيف أي ساحل الخط، وهو يبعد عن جزيرة أوال مسيرة يوم، أي مرحلة تقريباً، وهي تساوي ٦ فراسخ، أي بحدود ٣٦ كيلومتراً لأن اليوم والمرحلة متساويان عند الجغرافيين[٥٥] .

عرفت الأسواق في البحرين، واشتهرت كثير من كورها ونواحيها بوجود الأسواق فيها، ولاشك أنها كانت مراكز تجارية تميزت بنشاطها الاقتصادي من البيع والشراء والمعاملات الأخرى، ورد وصف هجر مدينة البحرين العظمى على أنها من أسواق العرب القديمة[٥٦]، وهي سوق بني محارب من عبد القيس ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين[٥٧] ووصف ابن الفقيه[٥٨] معاملات أهل هجر بقوله :

"وأهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى جميع الدار بمصورها أي بحدودها" .

ومن أسواق البحرين : الاحساء وهي منازل ودور لبني تميم، وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتبايع عليه العرب[٥٩] . ثم الستار ويعرف بـ : ستار البحرين في الطريق من هجر إلى البصرة، وهو منادى بني تميم فيه متصلة البيضاء[٦٠]، وعرفت المشقر بمنطقة الاحساء بسوقها قديماً .

عرفت البحرين بمنتجاتها الزراعية خاصة، وأبرزها التمور، فقد اشتهرت الكثير من نواحيها وقراها بكثرة النخيل ووفرة أنواع جيدة من التمور، وأفاض الجغرافيون بذكر تلك المناطق وشهرتها بكثرة النخيل، في مقدمتها هجر البحرين التي أصبحت اسماً شاملاً للبحرين فمن مناطقها المشهورة بالنخيل وإنتاج التمور القطيف وهو موضع نخل وقرية عظيمة الشأن، ثم العقير وهو ساحل وقرية وبه نخل ثم الستار وهو ستار البحرين وكان بها نخل، ومن مياه ستار البحرين ثيتل والنباج والنباك وكل فيه نخل كثير وماء يقال له قطر، والنباج بلاد كثيرة القرى وتسمى : نباج بني عامر، وهي عيون تنبج بالماء ونخيل وزروع[٦١] .

وصف المقدسي[٦٢] الاحساء - وهي قصبة هجر وتسمى البحرين، بأنها كبيرة كثيرة النخيل آهلة معدن الحر والقحط، ولاشك أن هذا الوصف يوضح لنا أن الاحساء كانت عاصمة هجر ومركزها الإداري وسميت البحرين فأصبح اسمها هو الغالب على تسمية البحرين، وشبه المقدسي بعض مدن عمان بمدينة هجر لقربها منها، مثل حفيت التي وصفها بأنها كثيرة النخيل من نحو هجر، الجامع في الأسواق، ودبا وجلفار وهما من نحو هجر قريبتان من البحر . وتشتهر عمان ومدنها الكثيرة بوفرة التمور وهي بذلك تشابه مدن البحرين في هذا المجال ومنها هجر .

والمشقر بالبحرين نحو هجر وبه نخل لا يبرح الماء في أصوله[٦٣]، والمشقر من مدن البحرين الشهيرة .

اشتهرت الزارة وهي ميناء على الساحل الغربي للخليج العربي بكثرة النخيل ووصفت مصادر غلتها بأنها من النخيل والسمك، كما وصفت الغيل بأنها منبر لبني جعدة، وهي وادٍ من نخل، اشتهرت بشدة الحرارة، وبها تمر يحمل إلى مكة يقال له الصفري، كان يتحمل النقل في البحر لصلابته، وصف بأنه : "في الصيف يمضغ مثل الكندر وفي الشتاء ينشق كالزجاج" .

قال الشاعر:

كأنها لما تولت تزمر

نخل من الصفري دوح موقر[٦٤]

ووصف الهمداني[٦٥] الصفري بأنه سيد التمور، وذلك أنه يغرق في البحر فيماث سائر التمران ماخلا الصفري، ويعدد أنواع التمور المنتجة في الفلج وهو حفر الباطن، ومنها البرني وصفه بأن له إهالة وجميل .

وعن يمين البحرين ودونها يبرين والخن موضع فيه نخل كثير لبني ودعة، ويبرين نخل وحصون وعيون جارية وغير جارية وسباخ[٦٦]، وترتبط يبرين - الواقعة شرقي اليمامة وهي على محجة عمان إلى مكة - بطريق إلى اليمامة وإلى البحرين في رمل، وهي أرض منقطعة بين الرمال وهي ذات نخل كثير من الصفري والبرني وذات زرع قليل[٦٧]، وضرب المثل في يبرين لبعدها حتى قيل : "لست بمعجز لنا ولو بلغت الشحر ولو حالت دونك يبرين"[٦٨] .

وضـرب المثـل في البعـد كذلـــك بخصوص صنعاء، حتى قيل : لابد مـن صنعا وإن طال السفر، وعلـى الرغـم من بعد يـبرين ووصفـها بوقوعـها في منطقـة منقطعـة بين الرمـال، فقـد حباهـا الله سبحانه وتعالى بنعمـة وفيرة مـن التمور الجيدة المشهورة - كما ذكرنـا - وهـي : الصفري والبرني كما وجدت فيها زراعة يسيرة اعتمدت علـى مياه العيون الـتي وفرت لها المياه .

لقد اشتهرت البحريـن بتمورهـا فكانت هجر أكبر أعمال البحريـن وهـي أكثر تموراً[٦٩] ، وذكر ابن خرداذبة شهرة البحرين بوجـود النخيـل[٧٠]، ويقـول : "ولهـم بُسـر يسمى النـابجي إذا انتبـذ وشـرب غـيَّر عرقـه البيـاض حتـى يصفرّ"[٧١] .

تميزت البصرة بشهرة خاصة لكثرة نخيلـها وأنـواع تمورهـا . ذكـر الجـاحظ إجراء إحصاء لأصناف نخـل البصرة في أيـام الخليفـة المعتصم بـالله العباسـي، فبلغت ثلاثمائة وستين ضربـاً مـن مغل معروف وخارجي موصوف وبديع غريب مع طيب عجيب، هذا باستثناء نخيـل الكوفة ومصر واليمامة والبحريـن وعمـان والمدينة المنورة وخيـبر والأحـواز وفـارس وكرمان[٧٢] .

حدد ابـن الفقيـه[٧٣] منـاطق إنتـاج التمور في بـلاد العـرب بقولـه : "وريـف الدنيا من التمر ما بين اليمن إلى البصـرة وهجر" .

تشـكل التمـور أهميـة في وطننـا العربي الكبير وتشتهر كثـير مـن أقطـاره بتمورها، ونظـراً لـا تشكله هـذه الثروة التي حباها الله سبحانه وتعالى من أهمية وقيمـة، فقـد أصبحـت للنخلـة مكانـة متميزة في تراثنـا العربـي الإسـلامي، إذ ورد ذكرهـا في القـرآن الكريـم والحديـث النبوي الشـريف، روى لنـا المقدسـي[٧٤] حديثاً مشهوراً ومتداولاً يبين لنـا مكانـة النخلة والعناية بهـا مـن قِبَل المسلمين لأنها نعمة من نعم الله التي أكرمنا بها، إذ يقول : "حدثنا القـاضي الحسـن بـن عبد الرحمن بن خلاد قال حدثنا موسـى بن الحسين قال حدثنا شيبان بـن فـروخ قال حدثنا مسرور بن سفيان التميمي عن الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بـن أبي طالب ﷺ قـال قـال رسـول الله ﷺ : أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس مـن

الشجر شجرة تلقح غيرها، وأطعموا نساءكم إذا ولدن الرطب فإن لم يكن رطب فالتمر . . . الحديث" .

لم تزودنا المصادر الجغرافية بمعلومات كافية حول الزراعة والمنتجات الزراعية، وصف الاصطخري جزر الخليج العربي وهي لافت وخارك وأوال وغيرها من الجزائر المسكونة، بقوله[٧٥] : "وبها مياه عذبة وزرع وضرع"، دون أن يحدد أنواع المزروعات والحيوانات فيها، في حين وصف ابن خرداذبة[٧٦] مدينة البحرين بأنها تقع على شط العرب وأهلها لا زرع لهم ولهم نخل وإبل . ولعله قصد بتلك المدينة جزيرة أوال الجزيرة الرئيسية في أرخبيل البحرين .

أما ما يتعلق بالحيوانات والثروة الحيوانية فالمعلومات عنها قليلة ومقتضبة لا تعدو إشارات محدودة، ذكر الهمداني[٧٧] أن جزيرة أوال في وسط الخليج العربي وفيها جميع الحيوان كله إلا السباع . وكانت الجمال من الحيوانات التي استخدمها العرب في الصحراء لنقل أمتعتهم وكذلك في نقل البضائع التجارية عبر الصحراء على طرق القوافل، ذكر ابن خرداذبة[٧٨] في وصف أهل البحرين أنهم لا زرع لهم ولهم نخل وإبل، قال أعرابي :

رمى به في موحش القفار
بساحل البحرين للصّفار

وذكر ابن الفقيه[٧٩] أن المسافة بين هجر مدينة البحرين والبصرة مسيرة خمسة عشر يوماً كانت تقطع على الإبل . التي عرفت بـ : سفينة الصحراء، وهي تتحمل العطش ومصاعب الطرق خصوصاً الصحراوية منها . وكان أهل البحرين يعتزون بجمالهم ويعتنون بتربيتها ويهتمون بالأصيلة منها، التي يبلغ ثمنها سعراً عالياً، نقل لنا ابن الفقيه[٨٠] حكاية عن أناس لم يذكر اسمهم بهذا الخصوص، إذ يقول : "قال بعضهم : قدمنا البحرين فلحقنا أعرابي على ناقة له صغيرة قد أكل الجَرَب جنبها ومعنا إبل لم ير الناس مثلها؛ فقلنا يا أعرابي أتبيع ناقتك ببعض هذه الإبل قال والله لو أعطيتموني بها جميع إبلكم كلها ما بعتكم، قلنا فلك مائة دينار فأبى فقلنا ألف دينار فأبى، ونحن في كل ذلك نهزأ به، فقال لو ملأتم جلدها ذهباً ما بعتكم . قلنا فأرنا من

سيرها شيئاً قال نعم فسرنا فإذا نحن بحمير وحش قد عنَّت فقال أي الحمير تريدون أعرضه لكم فقلنا نريد عير كذا فغمزها ثم زجرها فمرت ما يُرى منها شيء حتى ألحقت الحمير ثم تناول قوسه فرمى فلم يخطِ الحمار فلم يزل يرشقه حتى صرعه ولحقناه وقد ذبحه، فلما رأينا ذلك ساومناه بجد، فقال ليس عندي من نسلها إلا ابن لها وابنة ولا والله لا أبيعها أبداً بشيء".

وتدلنا هذه الحكاية على اعتزاز أهل البحرين بإبلهم الأصيلة وعدم المساومة على بيعها مهما كانت المغريات المادية كبيرة.

وكان للآبار الواقعة على طرق القوافل التي تستخدم الإبل أهمية كبيرة، لأنها تشرب المياه منها، وكذلك الآبار الأخرى المنتشرة بين قرى البحرين، ذكر الهمداني[٨١] بئر النقير بناحية البحرين التي يجتمع عليها كثير من رواد العرب، وربما سقى عليها عشرة آلاف بعير.

ويشكل اللؤلؤ ثروة كبيرة عمل فيها كثير من السكان، لأن اللؤلؤ معدن يتوفر في الخليج العربي حصراً[٨٢]، وتحدث المقدسي[٨٣] عن المعادن وخصوصاً اللؤلؤ في إقليم ديار العرب، وحدد أماكن وجوده بحدود هجر يغاص عليه في البحر بإزاء أي حول جزيرتي أوال وهي جزيرة البحرين الكبرى وخارك (خرج).

يحدد المسعودي[٨٤] موسم الغوص على اللؤلؤ في الخليج العربي، إذ يبدأ من أول شهر نيسان ويستمر إلى أواخر شهر أيلول، وليس هنالك غوص في بقية أشهر السنة، ويؤكد أن اللؤلؤ يوجد فقط في الخليج العربي ولا يوجد في البحار الأخرى، وذكر مواضع وجوده في المحيط الهندي الذي سماه : البحر الحبشي، لأن الخليج العربي هو فرع من ذلك المحيط، واللؤلؤ في بلاد خارك وقطر وعمان.

ومن المعادن الأخرى ذات المردود الاقتصادي الملح، وقد أشار الهمداني[٨٥] إلى المناطق المشهورة بالملح، وهو ملح الحاجر وملح المطلفية وملح القصيبة وفي رؤوس الجبال ملح نحيت أحمر عروق وهذه ملحات أهل نجد، وهنالك أيضاً ملح يبرين وملح بناحية البحرين. ولم يحدد موقع الملح في ناحية البحرين، في حين أن يبرين معروفة وهي جزء من

البحرين وتقع شرقي اليمامة - كما ذكرنا - ووصفت بوجود عيون جارية وسباخ فيها[٨٦].

وتشكل التجارة والتبادل في البضائع بين البحرين والمناطق المجاورة لها، جزءاً من النشاط الاقتصادي القائم على المصالح المتبادلة، ولدينا من النصوص القليل جداً حول التبادل التجاري والعلاقات التجارية، ذكر الحربي[٨٧] في حديثه عن الغيل وهو أحد منازل الطريق من البصرة إلى البحرين، إنه وادي كثير النخل، اشتهر بتمره المسمى : الصفري، وكان يصدر إلى مكة المكرمة، واشتهر هذا النوع بجودته - كما ذكرنا - وتحمله النقل في البر وفي البحر لصلابته، وهو نوع من التمر الملائم للغذاء في الصيف وفي الشتاء.

كانت صلات بغداد عاصمة الخلافة العباسية واسعة في المجال التجاري والعلمي مع مختلف أرجاء العالم خصوصاً ديار العرب والمناطق المجاورة لها، والمعروف أن الخليفة المنصور بنى لبغداد أربعة أبواب، وبنيت المدينة مدورة، ويوضح ابن الفقيه(٨٨) أهمية التدوير وتوزيع الأبواب الأربعة على المدينة المدورة، فمن يقصدها في الشرق يكون دخوله إليها من باب خراسان ومن يقصدها من الحجاز يدخل من باب الكوفة، ومن جاء من المغرب دخل من باب الشام، أما القادمون إلى بغداد من البصرة وواسط واليمامة والبحرين وعمان والأحواز وبلاد فارس، فإن دخولهم إليها يتم من باب البصرة.

ونستدل من هذا الوصف على أن دخول أهل البحرين وأجزاء الخليج العربي الأخرى إلى بغداد كان من باب البصرة إحدى أبوابها الأربعة، مما يدلل على قيام صلات بين بغداد والبحرين وبقية مناطق الخليج العربي.

ومن الجدير بالذكر أن البحرين تقع على طريق التجارة الذي يصل البصرة مع جنوب شرق آسيا وسواحل أفريقيا[٨٩]، وكانت بلاد الخليج العربي ومنها البحرين علي اتصال دائم مع هذه المناطق، خصوصاً في مجال الرحلات البحرية والتبادل التجاري، ووصف لنا المسعودي[٩٠] دور عرب الخليج خصوصاً الأزد من أهل عمان في الرحلات البحرية التي لا تخلو من المخاطرة والصعاب الكثيرة في البحار، وكانت تلك الرحلات

الأعمال في مملكة الإسلام والذي بيناه، من مبلغ الارتفاعات فعلى التوسط وما يرتفع بعض النواحي في هذا الوقت وينقص البعض نقصاناً لا نلتفت إليه ولا نعمل عليه لأنه إنما وقع بقلة الضبط وإضاعة الحزم والباقي الممنوع منه فهذه سبيله" .

ونستنتج مما ورد في تعليق قدامة أن مقدار الخراج كان يزيد وينقص في بعض النواحي، ولا يثير النقصان في مقدار الأموال التي تجبى من الخراج اهتماماً كبيراً، بسبب قلة الضبط وإضاعة الحزم الذي بدأ ينتشر في مؤسسات الدولة العباسية الإدارية والمالية في ذلك الوقت .

إن المسألة المهمة التي تستدعي الوقوف والتأمل عند قائمة الخراج التي سجلها قدامة هي دمج موارد خراج اليمامة والبحرين عام ٢٣٧هـ، أي في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله ٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م، وكانت البحرين من حصة ابنه المنتصر بالله، إذ قسمت أقاليم الخلافة العباسية بين أبنائه الثلاثة، وتولاها مروان بن الجنوي . ثم أعاد المنتصر محمد بن إسحاق إلى إدارة البحرين بعد توليه الخلافة ٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م[١٠٠]، إثر مقتل أبيه الخليفة المتوكل . ونرجح أن خراج اليمامة والبحرين دمج في قائمة واحدة بسبب اتفاق أبناء المتوكل على ذلك، ولا نستبعد أن ما ذكره لغدة الأصفهاني[١٠١] من أن موارد البحرين كانت تجبى من اليمامة تعود إلى هذه الفترة، فكانت جباية اليمامة واسعة جداً شملت البحرين ومربد البصرة وركبة ورمال اليمن قريباً من صنعاء، فضلاً عن جباية قبائل قيس عيلان، ولعل ما ذكره الأصفهاني ينطبق على ما سجله قدامة حول قائمة خراج اليمامة والبحرين .

عاد قدامة[١٠٢] مرة ثانية ليسجل لنا قائمة عن خراج بعض أقاليم الدولة العربية الإسلامية وكما يلي :

اليمن	ستمائة ألف دينار
اليمامة والبحرين	خمسمائة ألف وعشرة آلاف دينار
عمان	ثلاثمائة ألف دينار

لم تورد المصادر الجغرافية ذكراً لخراج البحرين، باستثناء ما ذكره

المقدسي نقلاً عن قدامة بن جعفر، وهذا يعني قائمته نفسها عام ٢٣٧هـ/٨٥١م إذ يقول[١٠٣] : "وذكر قدامة بن جعفر الكاتب أن ارتفاع الحرمين مائة ألف دينار واليمامة والبحرين خمسمائة وعشرة آلاف دينار وعمان ثلاثمائة ألف دينار" .

إن عدم ذكر الجغرافيين معلومات حول موارد وخراج البحرين يجعل من المتعذر مقارنة الأرقام ببعضها البعض والاستنتاج عنها لعدم وجودها، ومع ذلك يمكننا القول أن الرقم الذي زودنا به قدامة وأكده المقدسي يمكن الاطمئنان إليه إلى حد كبير، إذ أن قدامة كان من المعنيين بالخراج والمهتمين به والمتأولين له وقد كرس كتابه للخراج وذلك واضح من عنوانه، كما أنه اعترف بأخذ المتوسط أي المعقول من مقدار الجبايات على وجه التقريب وليس على وجه الدقة المتناهية، ونستدل مما ذكره قدامة حول جباية خراج اليمامة والبحرين على ثراء الإقليمين، وذلك يعود إلى التجارة التي كانت تمر بهما، فضلاً عن الثروات الطبيعية والزراعة .

أما حالات القحط والجدب وارتفاع الأسعار والأزمات الاقتصادية التي مرت بها البحرين خاصة ومنطقة الخليج العربي عامة، فإن المصادر الجغرافية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين لم تولها أهمية وعناية، ولم تورد ذكراً لها، إما لعدم وقوعها وإما لعدم ميل الجغرافيين لإبراز مثل تلك الأمور السلبية، وربما ذكروا - أحياناً - حالات قديمة غير محددة ربما سبقت ظهور الإسلام، إذ أن حالات الجدب والقحط وقلة الماء والعشب وانعدام سقوط الأمطار وقلة الإنتاج الزراعي مع الكثرة المطردة في عدد السكان، كل هذه كانت دائماً الأسباب التي تقف وراء هجرات مستمرة قامت بها القبائل العربية في اليمن وشبه جزيرة العرب إلى منطقة الهلال الخصيب والخليج العربي، خصوصاً هجرة الأزد وغيرهم من القبائل العربية بعد انهيار سد مأرب، فضلاً عن النزاعات والثارات وغيرها من المشاكل التي كانت تؤدي إلى هجرة القبائل باستمرار .

انفرد الهمداني[١٠٤] بنقل حكاية عن أبي الحسن الخزاعي، وكان يسكن

الهوامش

١ – التنبيه والإشراف ص ٧٨ .

٢ – مختصر كتاب البلدان ص ٢٧ ، وأشار الاصطخري إلى امتداد ديار مدين وقبائلها على الخليج العربي من عطوف اليمن إلى عمان والبحرين إلى عبادان . المسالك والممالك ص ٣١ .

٣ – ينظر بحثنا : الاستقرار العربي في الجانب الشرقي للخليج العربي ، مجلة الوثيقة ، العدد (٣٣) ، ١٩٩٨ .

٤ – ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ص ٢٨ .

٥ – التنبيه والإشراف ص ٢٤١ – ٢٤٢ ، وذكر في الصفحة ٢٤١ وقوع معركة ذي قار قبل الهجرة . وهذا هو الصواب .

٦ – المصدر نفسه ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

٧ – البلخي . صور الأقاليم ورقة ٧، الاصطخري . المسالك والممالك ص ٢٣ ، ابن حوقل . صورة الأرض ص ٣٨ .

٨ – صورة الأرض ص ٣٨ – ٣٩ .

٩ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ١٥٧ ، ٣١٩ .

١٠ – المصدر نفسه ص٣٧٢ – ٣٧٣ .

١١ – صورة الأرض ص ٣٣ .

١٢ – جنابة : مدينة أكبر من مهروبان وهي فرضة (ميناء) لسائر فارس، خصبة شديدة الحر ، من أبرز مدن كورة أرّجان في كور بلاد فارس، وهي مدينة ساحلية تقع على الساحل الشرقي للخليج العربي، تتصف بشدة حرها وبها نخيل وما يكون في الجروم (المناطق الحارة) من الفواكه . الاصطخري . المسالك والممالك ص ٣١ ، ٧٨ . وتعد جزيرة خارك من توابعها لأنها مضافة إلى جنابة . المسعودي . مروج الذهب ج ١ /١٢٦ .

١٣ – الاصطخري المسالك والممالك ص ٩٠، المسعودي . التنبيه والأشراف ص ١٠٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤، ٣٩١، ٣٩٢ .

١٤ – المقسي . أحسن التقاسيم ص ٩٣ – ٩٤ .

١٥ – الاصطخري . المسالك والممالك ص ٢٣، ابن حوقل صورة الأرض ص ٣٨، المقدسي . أحسن التقاسيم ص ١٠٤، وذكر امتداد سيطرة القرامطة إلى الأحقاف .

١٦ – صورة الأرض ص ٣٤ .

١٧ – الحديثي . البحرين ص ٣٦ – ٣٧ .

١٨ – ابن حوقل صورة الأرض ص ٣٣ .

١٩ – صور الأقاليم ورقة ٧، الحديثي . البحرين ص ٣٦ .

٢٠ – كتاب البلدان ص ٤٧٢ – ٤٧٣ .

٢١ – ابن خرداذبة . المسالك والممالك، وجعل ذلك من عجائب طبائع البلدان .

٢٢ – مختصر كتاب البلدان ص ١١٨ .

٢٣ – المقدسي . أحسن التقاسيم ص ٩٥، الحديثي . البحرين ص ٣٣ .

٢٤ – نحن لا نتفق إطلاقاً مع بعض الجغرافيين حول ما ذكروه من معلومات مشوشة حول سكان البحرين ومجتمعها، وهي لا تشكل أبداً حقائق ثابتة بقدر ما هي مجرد تصورات ووجهات نظر أطلقت بتسرع وبدون تدقيق، وربما تنطبق على بعض المناطق النائية والمعزولة المنقطعة في البوادي المقفرة . أنظر : ابن خرداذبة . المسالك والممالك ص ٦٠ حول أهل مدينة البحرين، ابن الفقيه الهمداني . مختصر كتاب البلدان ص ٩٢، نقلاً عن ابن القرية حول رجال البحرين، كما روى ابن خلكان عن ابن القرية أيضاً محاورة مع الحجاج الثقفي حول صفات الناس والأرضين . فقال ابن القرية عن أهل البحرين : نبط استعربوا . حبيب علي . ابن القرية ص ٦٢ .

٢٥ – المسالك والممالك ص ٢٥، أنظر أيضاً : ابن حوقل . صورة الأرض ص ٤١ (مع بعض الاختلاف) .

٢٦ – المناسك وأماكن طرق الحج ص ٦٢٠ – ٦٢١ .

٢٧ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ – ٣١ .

٢٨ – صفة جزيرة العرب ص ٢٨١ .

٢٩ – المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

٣٠ – ذكر المسعودي سيطرة بني مسمار على القطيف، أيام سيطرة أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي الجنابي فكان بها علي بن مسمار وأخوته وهم من عبد القيس . التنبيه والأشراف ص ٣٩٢، وذكر أيضاً أن جماعة من بني مسمار كانوا يسكنون جزيرة أوال مع بني معن وخلائق كثيرة من العرب . مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٢٦ .

٣١ – التنبيه والأشراف ص ٣٩٢ – ٣٩٣ .

٣٢ – صفة جزيرة العرب ص ٣٦٧ .

٧٦ – المسالك والممالك ص ٦٠ . وذكر ابن حوقل توافر الثمار ومزارع الحنطة والشعير في البحرين . صورة الأرض ص ٣٣ .

٧٧ – صفة جزيرة العرب ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

٧٨ – المسالك والممالك ص ٦٠ .

٧٩ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .

٨٠ – المصدر نفسه ص ٣٨ .

٨١ – صفة جزيرة العرب ص ٣٠٩ .

٨٢ – الاصطخري . المسالك والممالك ص ٣٠ .

٨٣ – أحسن التقاسيم ص ١٠١ .

٨٤ – مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١٦٨/١ .

٨٥ – صفة جزيرة العرب ص ٣٠١ .

٨٦ – المصدر نفسه ص ٢٨١ .

٨٧ – المناسك وأماكن طرق الحج ص ٦٢٢ .

٨٨ – بغداد مدينة السلام ص ٣٥ .

٨٩ – المقدسي . أحسن التقاسيم ص ٩٨، وقد تحدث عن التجارات في إقليم جزيرة العرب وأوضح الصلات بينه وبين العالم وتحدث عن رحلاته . المصدر نفسه ص ٩٧ – ٩٨ .

٩٠ – مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١٢٢/١ – ١٢٣ .

٩١ – المسعودي . التنبيه والأشراف ص ٢٧٤ – ٢٧٥ .

٩٢ – بلاد العرب ص ٣٢٥ . أنظر عن مدينة حجر : الحميدان . العصفوريون ص ١٠٠ .

٩٣ – ابن حوقل . صورة الأرض ص ٣٨، وذكر المقدسي أن اليمامة ناحية قصبتها الحجر، ووصفها بأنها بلد كبير جيد التمور يحيط به حصون ومدن منها الفلج . أحسن التقاسيم ص ٩٤ .

٩٤ – بلاد العرب ص ٣٢٦ – ٣٢٧ . وحجر سرة اليمامة وهي منزل السلطان والجماعة . المصدر نفسه ص ٣٥٧ .

٩٥ – صورة الأرض ص ٣١، ٣٣ .

٩٦ – المصدر نفسه ص ٣٣ .

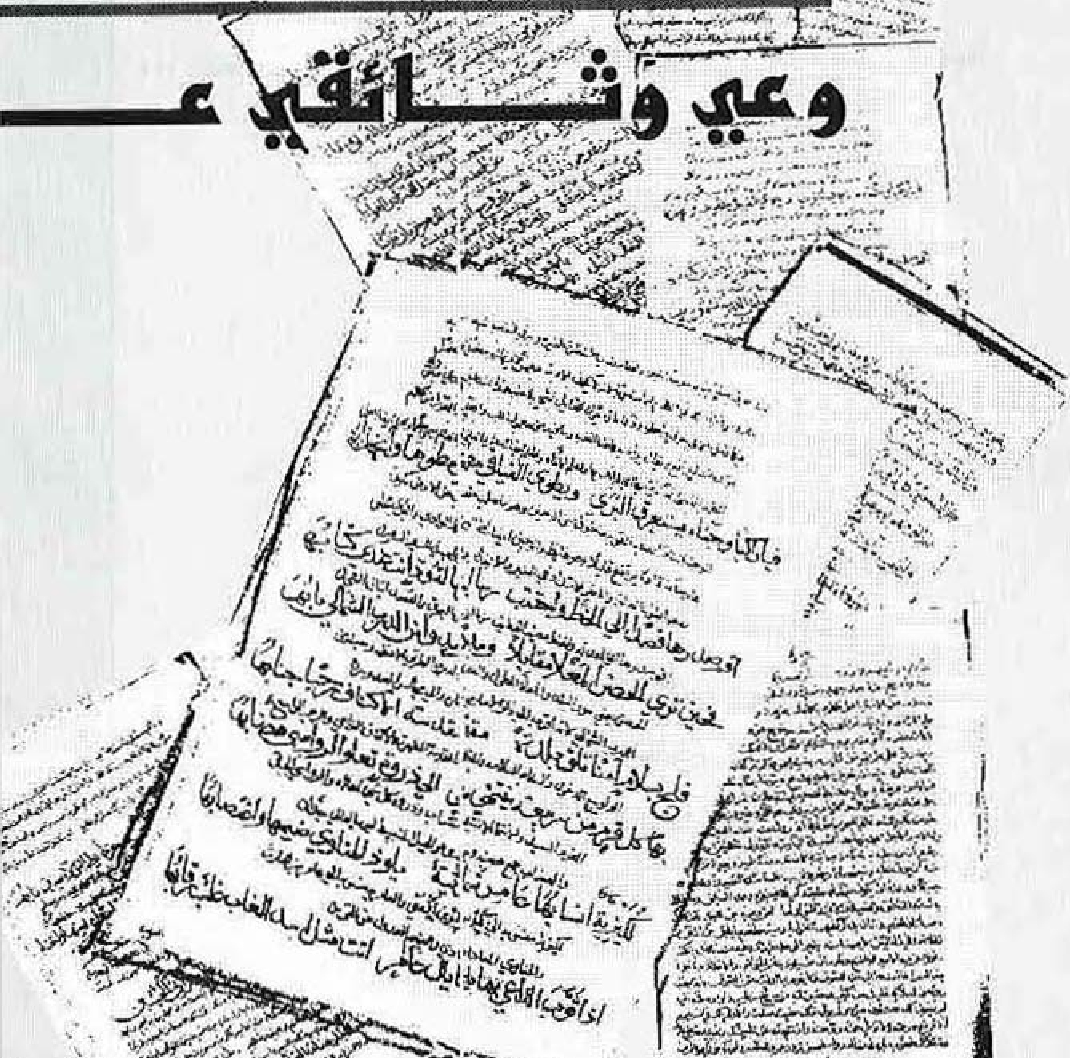
٩٧ – المصدر نفسه ص ٣٤ .

٩٨ – أحسن التقاسيم ص ٩٣ – ٩٤ .

مدخل تعريفي

لعلم وإدارة ال

وعي وثائقي ع



وثائق الأرشيف

ـــام لتطوير ذاكرة الأمة

بقلم :

محجوب بابا

هناك ألفاظ يتداولها الناس في مجال علم الأرشيف والوثائق والعلوم المتصلة بهما . والغالب أنهم يخلطون بين هذه الألفاظ ، حيناً، باستعمالها في غير موضعها وحينا باستعمالها على وجه يقصر عن معناها الصحيح . لذلك فإننا نجد خلطاً عجيباً في الألفاظ والاصطلاحات المتعلقة بهذه العلوم في التطبيقات العربية . والسبب الذي يدعو إلى هذا الخلط والقصور الخطير يمكن رده إلى عدة عوامل، منها أن الأرشيف علم حديث بالمقارنة إلى العلوم الإنسانية الأخرى والتي حددت مصطلحاتها كالجغرافيا والتاريخ وإدارة الأعمال مثلاً .

كذلك فإن الدراسات والأبحاث التي كتبت حول علم الأرشيف أو إدارة الأرشيف مازالت قليلة ومازالت دون الكمال . وطالما أن العاملين في هذا الحقل، وأعني بهم العاملين في الحقل الأكاديمي أو الإداري، لم يكتبوا بقدر كاف في مجال تخصصهم فإن الوعي الوثائقي وبطبيعة الحال سيظل وعياً قاصراً .

ومن هذه العوامل أيضاً أن العالم العربي متأخر جداً في مجال علم الأرشيف . وهذا وضع يتناقض مع تقدمه في مجال المكتبات العامة والخاصة ومع الثروة الأرشيفية العظيمة والمتصلة التي ورثها العالم العربي عبر قرون طويلة . وهو يتناقض كذلك مع الكميات الهائلة من المحفوظات الموجودة في مكتبات العالمين العربي والإسلامي . وباستثناء دولتين عربيتين هما مصر والسودان، فليس هناك دور وثائق بالمعنى المطلوب . ومازالت كل البلاد العربية الأخرى تخزن الآلاف بل والملايين من الوثائق في دور الوزارات والمصالح المختلفة . وهذا القصور في مجال دور الوثائق أو القصور في خلق دور الوثائق ألقى بظله على مجال المعرفة والعلم، ولذلك ظللنا قاصرين في مجال علم الوثائق وعلم الأرشيف، بل يكفي أننا مازلنا نستعمل أو نتداول المصطلحات الإفرنجية "كالأرشيف والدبلوماتيك" بدلاً من وضع مصطلحات عربية . وبذلك نكون فضلاً عن تأخرنا في الممارسة متأخرين في مجال العلم نفسه . فحصيلتنا المكتوبة في مجال العلمين قليلة وقاصرة .

عامل ثالث أدى إلى هذا القصور والخلط هو عدم اهتمام الجامعات العربية بتدريس التخصص . حيث أن هناك جامعتان فقط تقومان بتدريسه، وهما جامعة القاهرة الأم والجامعة الإسلامية بأم درمان . أما الجامعات الأخرى والمعاهد والمؤسسات، فتهتم بأمور أخرى هي بالأخص مراكز التوثيق التي تساعد في إجراءات الإدارة وعملياتها . وحتى في جامعة القاهرة نجد أن الأرشيف يدرس مع المكتبات - بل الواقع أن الأرشيف يعتبر فيها علماً ثانوياً بينما يعتبر علم المكتبات هو العلم

الأساسي في مناهج هذه الجامعة . وقد كان هناك تفكير في هذه الجامعة لفصل دراسة علم الأرشيف عن دراسة علم المكتبات ولكن الفكرة ماتت بحجة أن خريجي قسم الأرشيف لن يجدوا فرصاً للعمل . مع أن الوثائق الهائلة التي تخزنها المصالح والوزارات تنتظر أعداداً هائلة من الوثائقيين المختصين لتنظيمها ووضعها في يد الباحثين . أما جامعة أم درمان الإسلامية فقد وضعت علم الأرشيف مع المكتبات، ثم لم تلبث أن ألغته ثم عادت مرة أخرى فأدخلته من جديد في مناهجها .

رابعاً أن ما يسمى بدور الوثائق في العالم العربي هي في الواقع إدارات تابعة للمكتبات الوطنية . وهي بالرغم من تسميتها بدور الوثائق إلا أنها تقوم بمهمة حفظ المخطوطات أساساً، والواقع أن وضع الأرشيف مع المكتبة وضع خاطئ . لأن الأرشيف يختلف عن المكتبة في المهام وفي الأداء والأهداف . وطالما أن المكتبيين هم الذين يتولون الإشراف على قسم الأرشيف، فإننا لا نتوقع لعلم الأرشيف أو إدارة الأرشيف تقدماً ما إذ أن العمل في الأرشيف سيكون امتداداً للعمل في المكتبة .

لكل هذه العوامل فإن القصور في العالم العربي - أو قل التأخر في ممارسة الأرشيف وفي تدريس علم الأرشيف - ألقى بظله على الوعي "الأرشيفي" عموماً وهو مسئول عن الفوضى في استعمال الألفاظ والاصطلاحات . على أننا ينبغي أن نذكر أن الأرشيفيين أو الوثائقيين العرب قد تنبهوا أخيراً لواجبهم في هذا المضمار، فأنشأوا فرعاً إقليمياً لمجلس المحفوظات العالمي، ووضعوا الخطط اللازمة لتدارك ما فاتهم وأصدروا "مجلة الوثائق" من مقرها في بغداد ثم تونس، وأوكلوا للجنة متخصصة وضع الاصطلاحات العربية فيما يتعلق بعلم الأرشيف وممارسة المهنة .

بعض الألفاظ المستعملة في علم الأرشيف وما ترمي إليه من معان

١ - الوثيقة / Archive

الوثيقة وجمعها وثائق . وعندما نذكر الوثيقة، يخطر في البال عموماً أنها لابد أن تكون مهمة، وأن تكون حاوية لمعلومات خطيرة، وأن تكون قديمة وإلى غير هذا وذاك من

الانطباعات . على أن معنى الوثيقة هو الشيء الذي يوثّق شيئاً كتابة . وذلك بصرف النظر عن شخص الكاتب أو التاريخ الذي تمت فيه الكتابة أو مادة الكتابة أو أدوات التدوين التي استعملت في كتابة الوثيقة المعنية . إذ أن الوثيقة يمكن أن تكون مكتوبة في هذه الساعة أو في هذا اليوم أو في السنة الماضية أو القرن الماضي . أو أن تكون مكتوبة باللغة العربية أو بالرموز ويمكن أن تكون مكتوبة على الورق أو على الحجر أو الجلد أو العظام وكل مادة يوفرها صاحب التدوين الذي شاء أن يكتب أو يسجل أو يوثق غرضه الذي دعاه إلى الكتابة . ويمكن أن تكون موضوعات الكتابة غرضاً شخصياً أو غرضاً عاماً أو أي نوع آخر من المعلومات . وبالتالي فكل شيء وثُق يعتبر وثيقة . وفي العصر الحاضر اعتبرت الشرائط أو الأفلام والاسطوانات وثائق . بل أن الأخبار الشفهية إذا دونت تعتبر وثائق . إذن فالانطباع بأن الوثيقة هي ما كانت مهمة أو قديمة انطباع خاطئ . ومن قبيل التوضيح نذكر أن ما يقوم به المحامي الموثق من توثيق قانوني يتم على الأصول وبطريقة محددة . وكل ما في الأمر أن المحامي الموثق يجري كتابة الوثيقة بطريقة قانونية صحيحة لا يمكن الطعن فيها . وحيث أنه يكتب الحقوق بطريقة منضبطة فإنه يعتبر موثقاً قانونياً . فإذا اعتبرنا أن الوثيقة هي ما أثبت شيئاً على الإطلاق فمن أين تأتي الأهمية إذن ؟ الواقع أن أهمية الوثيقة تأتي حسب اهتمام الدارس أو الباحث، فإذا كان ما تسجله الوثيقة يتعرض لموضوع مهم بالنسبة لهما اعتبرت الوثيقة وثيقة مهمة، وإذا كانت الوثيقة بعيدة عن اهتمام الباحث أو الدارس فإنها لا تعتبر مهمة بالنسبة لهما . وكلما كانت الوثيقة تتعلق بقضية مهمة بالنسبة للباحث أو توضح جانباً مهماً، ازدادت أهميتها . إذ أنه ليست هناك أهمية مطلقة للوثيقة، وإنما نحن الذين نضفي عليها الأهمية من مواقعنا الخاصة واهتماماتنا الخاصة . ولذلك فإن الوثيقة التي تعتبر مهمة لشخص ليست بالضرورة مهمة لشخص آخر، وكذا الحال بالنسبة للمجموعة . والوثيقة المهمة لنا في هذا العصر قد لا تكون بالضرورة مهمة للعصور الآتية أو الماضية . إذن فالوثيقة تكتسب أهميتها

من الاهتمامات الفردية والجماعية للناس وليس على أساس مطلق .

(٢) علم الوثائق
Archive Science

علم الوثائق هو العلم الذي يعالج المراحل المختلفة للوثيقة . وعناصر الوثيقة الرئيسية هي بداية الوثيقة - غرض الوثيقة - ثم ختام الوثيقة . والحقيقة أن علم الوثائق لا يهتم كثيراً بغرض الوثيقة ، إذ أن المهم بالنسبة لهذا العلم هو كيفية البداية وكيفية الختام ومراحلها المختلفة . وبمعنى آخر فإن هذا العلم هو علم يصف البيانات والإجراءات الديوانية المتبعة في كتابة الوثائق، مروراً بمراحلها المختلفة، حتى تكون الوثيقة وثيقة رسمية صادرة من ديوان معين وفق نظمه وتقاليده المعروفة .

وفي الوثائق العربية عادة تكون البداية هي البسملة والصلاة والسلام على النبي وأدوات التراسل وتشمل الأخيرة الراسل والمرسل إليه والألقاب والدعاء والتحية والبَعْدِيَة - أي لفظ وبعد - أما الختام فيتكون عادة في الوثائق العربية من لفظ الختام وأحياناً بعلامة الختام ثم بالختم والذي يدل في هذه الحالة على صحة الوثيقة وصدورها من الشخص المعني . ثم يأتي بعد ذلك تاريخ الوثيقة وأحياناً بعض التأشيرات والعلامات الديوانية .

هذه هي الصورة العامة لعناصر التوثيق العربية الإسلامية . وتختلف الدواوين من ديوان لآخر في تقديم بعض العناصر أو تأخيرها، فالتاريخ قد يأتي في أول الوثيقة أو في آخرها والختم عادة يأتي في آخر الوثيقة. ولكنه في الوثائق السلطانية يأتي في صدر الوثيقة . والراسل أحياناً يكتب اسمه في نهاية الوثيقة، ولكنه أحياناً يكتب اسمه في أولها (كما يفعل الإمام أو الخليفة المسلم) وأحياناً تقتضي آداب الكتابة تقديماً وتأخيراً، كأن يكتب الراسل اسمه بعد المرسل إليه مراعاة للأدب الذي يقضي بتقديم الرئيس على المرؤوس .

وعلم الوثائق بهذه الصفات التي ذكرنا علم يصف المراحل الشكلية للوثيقة .

(٣) مركز التوثيق
Documentation Center

هذا المركز ليس مركزاً لحفظ الوثائق وليس مركزاً لخلق الوثائق وكتابتها . إنما هو مركز للخدمة، تتجمع

فيه الوثائق والتقارير والمقالات والملخصات من جهات مختلفة في داخل القطر وخارجه، لكي تحول بالتالي إلى جهات أخرى تحتاج إلى هذه المادة . فمهمة مركز التوثيق هي مساعدة العالم أو الباحث بما يستجد في علمه ومجال تخصصه . فالمتخصص في علم التربية مثلاً يمكنه الحصول على التقارير والمقالات وكل ما يستجد في مادة تخصصه في البلد وخارجه عن طريق مركز التوثيق التربوي المواكب إذ أنه عن طريق هذا المركز يتم تبادل الخبرة الوطنية المحلية في التربية من معاهد التربية المختلفة مع معاهد التربية في العالم العربي وخارجه .

(٤) المخطوط

Manuscript

المخطوط في الأصل هو ما دوِّن بخط اليد - أي ما هو ليس بمطبوع . ولهذا فيمكن أن نطلق هذا اللفظ على كل ما دوِّن باليد سواء كان كتاباً أو كراساً أو ورقة . وإن كان الذهن لينصرف عند سماع هذا اللفظ إلى كتب التراث المكتوبة بخط اليد . وبخلاف المخطوط فهناك ما كتب بالآلة الكاتبة والذي يقابله باللغة الإنجليزية لفظ **Typescript** وهناك النسخة المنقولة من الأصل بخط اليد ويسمى باللغة الإنجليزية **Transcription** أو النسخ .

(٥) الأرشيف

Archive

وهنا ينبغي أن نفرق بين إدارة الأرشيف ومجموعة أرشيفية وعلم الأرشيف .

المجموعة الأرشيفية / وهي مجموعة وثائق ينبغي أن تتوفر لها عدة شروط لنطلق عليها هذا الاسم :

أول هذه الشروط أن تكون نتاج إدارة كأن تكون أوراق وزارة أو مصلحة أو مؤسسة أو شركة . وعلى ذلك فالوثائق الأهلية أو الشخصية لا تعتبر مجموعة أرشيفية لأنها لا تستوفي هذا الشرط .

أما الشرط الثاني فهو أن تكون المجموعة محفوظة بنفس ترتيبها أو تتابعها . فإذا وقع في المجموعة خلل ما كأن يكون قد تعدل ترتيبها أو تغير، أو أن يكون قد ضاع جزء منها أو تصرف في ترتيبها شخص ما . فإن المجموعة

تفقد قيمتها الأرشيفية وتعتبر مجرد مجموعة وثائق . غير أننا نستثني من هذه الحالة التغيير الذي يتم عن طريق الوثائقيين المتخصصين الذين يعدمون الأجزاء غير المهمة منها .

إن الحاجة إلى أن تكون الوثائق كاملة وبحالتها الإدارية الأصلية تنبع من فكرة أساسية . هي أن تعطي هذه الوثائق بطبيعتها وتتابعها وشمولها فكرة طبيعية لأعمال الوحدة الإدارية المعنية، بحيث تتتابع القرارات والإجراءات بنفس تتابعها في تلك الإدارة، وبحيث تبقى تقسيماتها وفروعها كما كانت . فإذا تغير ترتيب الورق تغير بالتالي تتابع الأمور، وإذا سقط من الورق جزء، سقطت أطراف من نشاط المصلحة وإجراءاتها وبالتالي لا تعطي صورة كاملة وطبيعية .

والشرط الثالث في المجموعة الأرشيفية هو أن تكون هذه المجموعة محفوظة لأغراض علمية . وهذا الشرط هو الفيصل بين ما يحفظ في المصالح وبين ما يحفظ في دور الوثائق المركزية . فالمصالح والمؤسسات تحتفظ بما تحتاج إليه في إدارة أعمالها، وهذه المجموعة تعتبر مجموعة إدارية طالما الهدف من حفظها هدف إداري . أما المجموعات التي تحفظ في دور الوثائق فالغرض من حفظها غرض علمي، فإن مستعمليها هم العلماء وليسوا موظفي المصالح .

(٦) إدارة الأرشيف
Archive Administration

إن الهدف من إنشاء إدارة الأرشيف هو المحافظة على القرارات والإجراءات والقوانين واللوائح في المصالح والوزارات حفظاً لحقوق الناس وحفظاً للسوابق الإدارية للاستعانة بها في العمل . وكلما كانت الإدارة منضبطة في مجال الأرشيف كانت قادرة على اتخاذ القرارات بفعالية . إدارة الأرشيف في المصالح والوزارات مهمتها حفظ الملفات القديمة التي لا تستعمل بشكل دائم . أما إدارة الأرشيف في دور الوثائق فهي تختص بجمع الوثائق والملفات من المصالح والدور المختلفة، ثم تقوم بحفظها ومن ثم عرضها للباحثين . إذن فإدارة الأرشيف هي إدارة مختصة بجمع وحفظ الوثائق بغرض استعمالها في الإدارة أو في الأبحاث وهي إدارة لها أصولها وشروطها .

التي توصل إليها الإنسان للاحتفاظ بمحفوظاتنا بشكل منظم ميسور الاسترجاع .

٣ - إن الملف هو وحدة المجموعة الأرشيفية، وهو يتضمن مجموعة من الوثائق المرتبة حسب دورها في الإجراءات الإدارية . يستعمل الناس عدداً من الألفاظ لتعريف الملف مثل الفايل وهو من لفظ File . وهذا غالب استعماله في الوطن العربي بحكم تأثير الإدارة البريطانية السابقة . ومثل الدوسيه وهو من الكلمة الفرنسية المقابلة وهذا غالب استعماله في مصر والشام بحكم التأثير الفرنسي السابق أيضاً .

الملف يحمل رقماً إدارياً بالإضافة إلى العنوان . والعنوان يبين موضوع الملف . أما رقم الملف فيبين موضع هذا الملف من ملفات المصلحة الأخرى . إن للملف عمراً مثلما للكائنات الحية وهو يمر بثلاث مراحل ، أولها مرحلة الاستعمال الدائم وفي هذه المرحلة فإن أهمية الملف أهمية إدارية بحتة ولا يمكن للإدارة أن تستغني عن هذا الملف وفي نفس الوقت فإن هذا الملف ليس بذي فائدة علمية لأنه مازال في الطور الإداري . وبعد مرحلة تطول أو تقصر تبعاً لموضوع الملف يصير الملف في مرحلة لا تحتاج فيها الإدارة إليه بصفة مستديمة ولكن قد تحتاج إليه من وقت لآخر وهذه هي **المرحلة الثانية** من حياة الملف وهاهنا يكون الملف قد انتقل إلى إدارة الأرشيف في المصلحة . وفي بعض البلدان يتقرر في هذه المرحلة ما إذا كان الملف مهماً أو غير مهم . وفي هذه الحالة يبقى المهم ويعدم غير المهم . وحتى هذه اللحظة مازالت أهمية الملف أهمية إدارية .

أما في بعض الأقطار فإن الإجراء المتبع هو تحديد مجموعات من الموضوعات غير المهمة وهذه تحفظ لمدة محددة تحدد في خلالها أزماناً موقوتة تعدم بعدها الملفات المعنية . وكمثل لذلك فإن الملفات الخاصة بالمباني الحكومية تعدم بعد عشر سنوات، والأذونات والشهادات والإيصالات تعدم بعد فترة محددة كذلك الوثائق الخاصة بالقضايا تعدم في فترات محددة . أما ما عدا ذلك فيبقى إلى أن ينظر فيه المختصون من دور الوثائق .

وبعد فترة يصل الحال بالملف بحيث يكون غير مرغوب أو غير مستعمل في الإدارة على الإطلاق .

وحيث أنه لا يستعمل في الإدارة، فقد انتفت منه الصفة الإدارية . ومن هنا يتغير نظرنا تجاه هذا الملف ونحكم على بقائه أو إعدامه من وجهة نظر أخرى . وهي مقدار ما يتضمنه من بيانات ومعلومات للباحث، وبمعنى أدق فإن الملف إما أن يكون مفيداً للدراسات العلمية (فيبقى) أو غير مفيد (فيعدم) . فالتقدير هنا تقدير علمي بحت بينما هو في المرحلتين الأولى والثانية تقدير إداري .

كيف تحدد ما هو مهم أو غير مهم ؟

هذا التحديد هو أخطر قرار يتخذه متخصص الأرشيف . إذ أن قراره سيكون قراراً فاصلاً وبعده إما أن تبقى الملفات وإما أن تعدم فتنتهي .

وفي الحالة الأولى فإننا بالضرورة لا نحتاج إلى أن نحفظ ما ليس بمهم . فذلك يؤدي إلى تضخم غير ضروري ويكلف نفقات باهظة إلى جانب أنه يعطي صورة غير حقيقية لمؤرخي المستقبل . نسبة لضخامته غير العادية . المتتابعة .

وفي حالة الإعدام فإننا إذا أعدمنا ملفاً عن طريق الخطأ فلا يمكن لنا أن نسترده، لذلك فالخطورة باقية في الحالين، الإبقاء أو الإعدام . إن القرار خطير حقاً، وكما سبق أن ذكرنا فإن الوثائق ليست لها أهمية مطلقة ثابتة بل نحن الذين نضفي هذه الأهمية للوثيقة، وبالتالي فالأهمية نابعة من اهتماماتنا الشخصية والجماعية . وبالتالي فإن متخصص الوثائق لا يستطيع أن يحصي اهتمامات الناس ورغباتهم بحيث يستطيع أن يبقي على هذه الاهتمامات كلها .

فإذا قرر أن هذا الملف مهم فإنه يعني أن هذا الملف مهم بالنسبة لاهتماماته الشخصية ورغباته الذاتية . وإذا ذهب إلى أنه غير مهم فهو غير مهم بالنسبة لاهتماماته ورغباته أيضاً . وبالتالي فإنه مهما أوتي فإنه لن يكون حكماً بالنسبة لكل الاهتمامات والرغبات .

ولذا كانت هناك خطورة في أن يحدد متخصص الأرشيف ما هو مهم أو غير مهم بالنسبة لعصره، فإن المشكلة تعتبر أصعب وأعمق إذا ما جلس ليحكم على رغبات واهتمامات الأجيال القادمة . كيف إذن نستطيع أن نواجه هذه المشكلة الشائكة ؟

أولاً لابد أن نبقي كل الملفات التي تتعلق بقوانين المصلحة ولوائحها والتي

ثانياً مهمة التخزين . . يقوم بهذه المهمة جهاز يتخصص في عملية الإيداع والمستودعات .

ثالثاً مهمة الخدمة . . ويقوم بها جهاز أو عدة أجهزة .

لكل جهاز من هذه الأجهزة فنه ومنهجه وطريقته ومشاكله .

١ - جهاز التغذية

يقوم هذا الجهاز بتغذية دار الوثائق بالملفات والوثائق التي تحصل عليها من جهتين - المصالح والوزارات ثم الأفراد "العامة والخاصة" .

أما الأفراد فيمكن التعامل معهم عن طريق البيع والتبادل والتصوير والهبة ، وفي بعض البلدان تلجأ دور الوثائق إلى النص في قوانينها للحصول على الوثائق التاريخية على اعتبار أنها - الوثائق - هي ملك الأمة . وفي هذه الحالة يتعين على صاحب الوثائق أن يسلمها لدار الوثائق وأن يحصل في مقابلها على تعويض مناسب .

ويلجأ الوثائقيون أيضاً إلى إصدار القوانين بحيث تحصل دور الوثائق على بعض الإنتاج الفكري بطريقة منظمة وهكذا ينص قانون إيداع المصنفات في بعض الدول على سبيل المثال . وذلك بأن تحصل دور الوثائق وجهات أخرى على نسخ مجانية من الجرائد والمجلات والكتب "الإصدارات" التي تطبع في الدولة وتلك التي يطبعها مواطنوها في الخارج . وبمنشور إداري صادر من دور الوثائق تحصل بموجبه على نسخ مجانية من التقارير الدورية التي تصدرها مصالح الدولة وفروعها . أما فيما يختص بالتعامل مع الوزارات والمصالح المعنية فإن هناك مهمتان .

أولاهما هي تحويل الملفات إلى دور الوثائق .

المهمة الثانية . . هي التفتيش بغرض تنظيم وثائق المصلحة المعنية وهاهنا يختلف الوضع من بلد إلى آخر .

ففي مصر مثلاً ليس من مهمة دار الوثائق القيام بالتفتيش على وثائق المصالح أو المعاونة في تنظيمها . إذ أن مهمة دار الوثائق في مصر هي حفظ الوثائق التاريخية والصلة بينها وبين المصالح هي صلة غير مقرونة . كما هو الحال في كثير من أقطار الوطن العربي عدا السودان والعراق .

أما في بريطانيا فإن المصالح تقوم بعبء كبير في إدارة وثائقها ، ففي كل مصلحة إدارة ضخمة للأرشيف . وهذه الإدارة تقوم بحفظ الملفات وهي التي تحدد ما يعدم منها وما يحفظ للاستعمال الدائم و لا تلجأ إلى دار الوثائق إلا للاستعانة بها في بعض المسائل المهمة.

وبدار الوثائق البريطانية عدد من المفتشين يقومون بزيارة المصالح بطريقة دورية بغرض التأكد من أن إجراءات المصالح فيما يختص بالوثائق إجراءات سليمة ومنضبطة . ولكي ما يعرضوا آراءهم فيما يعرض عليهم من مسائل . وفي النهاية فإنهم يعطون الكلمة الفاصلة فيما يتعلق بالوثائق التي تحول إلى دار الوثائق . ولكن دار الوثائق البريطانية ليس لها حق التفتيش والإشراف المباشر على إدارات الأرشيف في المؤسسات الخاصة .

أما في السودان فإن مدير دار الوثائق القومية مسئول عن حفظ الملفات وعن سلامتها في جميع المصالح بقدر ما هو مسئول عن حفظها وسلامتها في دار الوثائق نفسها . وبالتالي فإن القانون واللوائح تعطيه حق التفتيش والإشراف والتوجيه . وقد نص بشكل محدد أنه لا يجوز لأي مسئول أن يُقْدم على إعدام أي مكتوب حكومي ما لم يكن حاصلاً على إذن كتابي من مدير دار الوثائق القومية . وعلى ذلك فإن العمل الذي يقوم به جهاز التغذية في السودان عمل مزدوج ، لأنه يقوم بالتفتيش وبالتحويل معاً وهذا القسم يطلق عليه في الواقع قسم التفتيش .

إن قسم التفتيش إدارة مهمة فعلى عملها يتوقف تنظيم ملفات الدولة وحفظ الوثائق المهمة . وهو الجهاز الذي يثري دار الوثائق بمخزوناتها المختلفة .

إجراءات التحويل

في المرحلة الأولى تتخذ إجراءات أولية وذلك باتفاق يتم بين دور الوثائق المركزية والمصلحة المعنية بإجراء التفتيش والتحويل . تبعاً لذلك يقوم قسم التفتيش بمعاينة أولية لتحديد كميات الملفات ووضعها العام والمكان المناسب الذي سيتم فيه العمل وعدد الموظفين الذين يمكن أن يقوموا بالتفتيش والتحويل والوقت الذي يمكن أن يتم فيه ذلك .

الرواية الشفهية



في الكتابة التاريخية

أ.د. محمد عبد القادر خريسات

قبل الدخول في إلقاء الضوء على تطور الرواية الشفهية في الكتابة التاريخية لابد من الإشارة أولاً إلى الخبر التاريخي، والدلالة اللغوية لكلمة شفهي أو شفوي . فالخبر في اللغة، واحد الأخبار، وهو السؤال عن الخبر، وكذلك التخبر، وخبرت الأمر، أخبره إذا عرفته على حقيقته . واستخبره، سأله عن الخبر وطلب أن يخبره(١) .

أما لفظة شفهي أو شفوي، فقد أعادها ابن منظور إلى جذرين هما شفا وشفه . فاللفظة شفا والتي منها المشافهة تدل على معرفة الخبر، فيقال أخبرني فلان خبراً إذا اشتفيت أى انتفعت بصحته وصدقه(٢) .

أما لفظة شفه، فهي تدل على المشافهة، وشافهه أدنى شفته من شفته فكلمة مشافهة(٣) .

وقال الجوهري(٤) : المشافهة، المخاطبة من فيك إلى فيه، ويقال شفهية وليس شفوية لأن الحروف الشفهية هي : الباء والفاء والميم . وفي التهذيب شفهية وشفوية لأن مخرجها من الشفة وليس للسان فيها من عمل .

مما تقدم نخلص إلى أن المشافهة هي إحدى مصادر نقل الأخبار . فالمصادر التاريخية قديمها وحديثها اتخذت طرقاً متنوعة في الحصول على الخبر التاريخي وذلك لتنوع مفهوم الخبر وتعدد مجالاته فبالإضافة إلى المخلفات البشرية من نقوش ونقود وآثار متنوعة وكتابات تاريخية توجد الرواية الشفهية .

وفي المعنى الاصطلاحي يقصد بالرواية الشفهية التعرف إلى أحوال الماضي القريب عن طريق أشخاص عاصروا هذه الأحداث أو كانوا قريبين منها ومن ثم معالجتها واختبار دقتها بطرق معينة(٥) .

ومن يتتبع الكتابات التاريخية منذ أقدم العصور يجد أن البدايات الأولى كانت في الاعتماد على الروايات الشفهية .

فاليونان على سبيل المثال وصلوا إلى حد تفضيل الرواية الشفهية على الكتابة التاريخية حيث عُزي إلى سقراط أو أحد أساتذته قوله : إنه يكره أن يرى أفكاره تدون على جلود البقر الميتة بدلاً من أن تطبع على قلوب الناس الأحياء . وفي هذا القول تعبير بليغ عن الشعور الذي كان يسود الجدل الديني والمناقشات التي كانت تدور حول قيمة المعرفة التي كانت تعتمد على الذاكرة(٦) .

ولما جاء الإسلام، وبدأ الاهتمام في الحركة العلمية، كان لابد من اتباع منهج أو طريقة في نقل الأخبار والأحداث من جيل إلى جيل، ولم يجدوا إلا الرواية الشفهية في بداية الأمر، لكثرة الأمية بين المسلمين، ولتميزهم في ملكة الحفظ . وأمام هذا المنهج أصبح للروايات الشفهية أثر واضح في التأثير على أمر التدوين التاريخي في الإسلام .

ومن الطبيعي في ظل مجتمع كانت القبلية الركيزة الأولى في أطره الاجتماعية أن تمد الروايات القبلية المتأخرين بمواد الكتابة في تاريخ العرب قبل الإسلام بشكل خاص، وتاريخهم بعد الإسلام بشكل عام(٧) .

بدأت الروايات الشفهية تظهر بشكل بارز عند عرب الجنوب، وفي أحوال كثيرة كانت هذه الأخبار تمزج بالنواحي الأسطورية، وكان من رواد هذا النهج وهب بن منبه (ت ١١٤هـ/٧٣٢م) وعبيد بن شريه الجرهمي .

كان عبيد بن شريه ممن استدعاهم معاوية بن أبي سفيان ليحدثه بأخبار أهل اليمن والأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم[٨] . ومن خلال هذه الروايات وصلنا كتاب أخبار عبيد بن شريه في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها وهو يتضمن أسئلة معاوية وأجوبة عبيد عنها[٩] .

وباستدعاء عبيد بن شريه يكون معاوية بن أبي سفيان أول من عني بأخبار العرب والأمم الأخرى . قال المسعودي كان معاوية : يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها، وسياستها لرعيتها، وسير ملوك الأمم السالفة . . ."[١٠] .

واهتم وهب بن منبه أيضا في روايات عرب الجنوب، ونسب إليه كثير من الأساطير، فجاء المتأخرون وأدخلوا كثيراً من رواياته في كتبه، فقد روى محمد بن إسحاق (ت ١٥٢هـ) عن عبيد، وجمع عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) كتاب التيجان لوهب بن منبه، بل إن الطبري استمد في تفسيره الكبير للقرآن من أقاويل وهب بن منبه[١١] .

وذكر ياقوت[١٢] أن وهباً ألف كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم . غير أن كرينكو يشك في ذلك لأن كتاب التيجان من ملوك حمير المطبوع في حيدر أباد من رواية عبد الملك بن هشام[١٣] .

وقد علق الأستاذ الدوري على هذا الأسلوب في جمع الأخبار المتعلقة باليمن بقوله : ومن يتتبع الروايات اليمانية الموجودة في المصادر الأولى بمجموعها يجدها ذات طابع أسطوري، فبدلاً من أن تصلنا روايات متينة نجد أن مثل هؤلاء الرواة يوردون قصصاً خيالياً لتاريخ اليمن هي مزيج من القصص الشعبي والإسرائيليات محاولين بذلك تمجيد عرب اليمن[١٤] .

وأود الإشارة هنا إلى أنه على الرغم من شيوع الروايات الشفهية في التاريخ اليمني عند الأخباريين في الفترة المبكرة من صدر الإسلام[١٥]، إلا أن ذلك لا ينفي معرفة عرب الجنوب للتدوين سواء، كان ذلك على الحجارة من خلال النقوش التي دونت فيها كثير من الأخبار المتعلقة بالجزية ومشاريع الري وإنشاء الأسوار والتحصينات والحملات العسكرية أو على الأوراق التي دونوا فيها أنسابهم بالإضافة

للوثائق الملكية والسجلات الحميرية[١٦] .

وسار عرب الشمال على نهج عرب الجنوب بالاعتماد على الروايات الشفهية المأثورة وكانت معظمها تدور حول أيام العرب وما تخللها من قصص وأشعار . وعلى الرغم مما كان يحيط بهذه الروايات من تحفظات إلا أنها كانت تحفظ أحياناً جزءاً جوهرياً من الحقيقة[١٧] .

صحيح أن الرواة اعتمدوا في أحيان كثيرة على خيالهم في ذكر الأحداث وضمنوها من الأشعار الموضوعة التي أشار إليها العديد من المؤرخين، منهم على سبيل المثال ابن هشام الذي اختصر سيرة ابن إسحاق[١٨] إلا أن الذي يجب الإشارة إليه أن كثيراً من هذه الروايات قد اعتمد على سلسلة متنوعة من الأسانيد التي بينت مصدر كل رواية، وهذا الأسلوب يعطينا صورة واضحة عن مصادر الأخبار، وهو أسلوب مقبول في التاريخ[١٩] . ودخلت الرواية الشفهية أيضاً عند عرب الشمال والجنوب على حد سواء في ذكر الأنساب وتدوينها بصورة فريدة لم يشهد لها تاريخ الأمم الأخرى مثيلاً . وقد قادهم ذلك إلى الحديث عن المترجم لهم بشيء من التفصيل[٢٠] .

وكان معاوية بن أبي سفيان أول من اهتم بالنسابين واستدعاهم إلى مجالسه، وفي طليعة هؤلاء دغفل بن حنظلة السدوسي (ت ٦٥هـ)، وكان دغفلاً من النسابة المشهورين، له مع معاوية جلسات عديدة يستعلم فيها عن مثالب وفضائل القبائل العربية[٢١] .

واستدعى معاوية أيضاً أبا الشطاح اللخمي، وكان من الرواة والنسابين والعلماء، جمع معاوية بينه وبين دغفل ابن حنظلة[٢٢] .

وأول من ألف في علم الأنساب هو محمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)ولم يصلنا كتابه . وتبعه أبو اليقظات سحيم بن حفص (ت ١٩٠هـ) الذي ألف كتاباً في النسب الكبير، وكتاب نسب خندف وأخبارها[٢٣] .

وجاء بعدهما مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ) وقد وصلنا كتابه : حذف من نسب قريش . ثم تلاهم بعد ذلك هشام بن محمد السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ) الذي اعتبره حاجي خليفة أول

من كتب في هذا العلم وأيده المستشرق ليفي بروفنسال[٢٤] .

والجدير بالذكر أن ابن الكلبي كان يعمل صاحب خبر، ولاشك في أن هذه الوظيفة قد زودته بكثير من المعلومات التاريخية[٢٥] .

ولم تعد المادة الإخبارية مقصورة على أيام العرب وأشعارها، وأنساب القبائل وأخبارها، بل امتد ذلك إلى مغازي الرسول ﷺ وسيرته وأخبار الخلفاء الراشدين والفتوحات والفتن وإلى دواوين الشعر وشرحها، وكان أبوعبيد المتوفى (٢٠٩هـ) من المبرزين في هذا المجال فكانت رواياته تشمل النواحي التاريخية وأخبار القبائل وأيامها، والفتوحات والفتن، ويتطرق في بعض الأحيان إلى الفرق الإسلامية[٢٦] .

وعلى أية حال فقد استقرت الروايات الشفهية في الفترة الإسلامية المبكرة في التاريخ على ثلاثة محاور :

■ **المحور الأول** : ويتعلق بأخبار الأمم الماضية من بدء الخليقة إلى أيام المؤلف، وقد نحى هذا المنحى معظم المؤرخين وعلى رأسهم محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ .

■ **المحور الثاني** : ويتعلق بأيام العرب قبل الإسلام، وما ذكر فيها من أشعار .

■ **المحور الثالث** : ويتعلق بأخبار الرسول ﷺ ومغازيه وبالخلفاء الراشدين وأعمالهم .

ولم تسر هذه المحاور على أسلوب واحد في اعتماد الرواية الشفهية .فإن جاءت هذه الروايات على ألسنة عبيد بن شرية ووهب بن منبه وكعب الأحبار مشوبة بالخيال والأساطير، إلا أن الصورة قد اختلفت تماماً عما جاء في الروايات الشفهية في الإسلام كالتي جاء بها عروة بن الزبير (ت ٩٢هـ)، وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ)، وابان بن عثمان (ت ١٠٥هـ)، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٥هـ)، وعاصم بن عمرو بن قتادة (ت ١٢٠هـ)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الأزهري (ت ١٢٤هـ)، وموسى بن عقبة (ت١٤١هـ)، ومحمد بن إسحاق (ت ١٥٢هـ)، والذين اعتمدوا في معظم الأحيان على سلسلة طويلة من الأسناد .

لقد كان الأسناد هو الصفة الرئيسية لهؤلاء الأخباريين، واعتمدوا اعتماداً كبيراً على الرواية الشفهية في تلقي الأخبار . فأبو مخنف المتوفى (٧٤هـ) على سبيل المثال يذكر مراراً صيغ الرواية الشفهية ويقول : حدثني رجل من آل خارجة، وحدثني رجل من بكر بن وائل[٢٧] . وأخباري آخر هو الهيثم بن عدي (ت ٢٠٦هـ) يستخدم صيغ الرواية الشفهية ويقول حدثني شيخ من كندة، وشيخ من حمير، وبعض أصحاب جعفر الصادق[٢٨] .

لقد نشأت الرواية الشفهية في بداية أمرها بسيطة ساذجة تطورت بتطور العصر حتى أخذت في الإسلام صفة علمية متنوعة وفق المنهج التاريخي والأدبي، وأصبح للرواية التاريخية رواة، وللشعر رواة وللأنساب رواة . . .إلخ[٢٩] .

وقد كانت البدايات للروايات الشفهية المتعلقة بحياة الرسول ﷺ ومغازيه وأحاديثها، هو عدم التوسع فيها، والإقلال منها . ويذكر بن قتيبة أن عمر بن الخطاب كان شديد الإنكار على من يكثر الرواية أو يأتي بخبر في الحكم لا شاهد عليه، وعلى منهجه سار كثير من الصحابة .

ولذا كانت أولى خطوات قبول الرواية الشفهية في الإسلام هو الشهادة على سماعها، فكانت بهذه الطريق تضع أول خطوة من خطوات الأسناد، فنشأ عن ذلك علم الرواية الذي كان محمد بن شهاب الزهري أول من قرر شروطه[٣٠] .

ولاشك أن الرواية الشفهية في القرن الأول الهجري قد جعلت من حفظ الكتب المدونة عملاً سطحياً زائداً وواجباً غير مرغوب فيه والإشارة إليه عملاً مشبوهاً[٣١] . ونجد مؤرخاً في القرن الخامس الهجري مثل الخطيب البغدادي يدعو للاعتماد على الرواية الشفهية ويقدمها على الروايات المدونة فقال : **"لا تأخذوا العلم عن الصحفيين"** . وحجته في ذلك أن الكتاب عرضة للتغيير والتبديل والنسخ والإزالة . . . وربما غلط الناسخ في النسخ، ناهيك بالأخطاء التي تنجم عن النقط والتشكيل والأعجام التي عبروا عنها بالتصحيف[٣٢] .

ولم نجد من الأخباريين من ينكر الرواية الشفهية، إلا أن سعيهم الدؤوب بالوصول إلى الحقيقة جعلهم يضعون

شروطاً لقبول هذه الروايات، فكان أن ظهر علم الجرح والتعديل في الحديث. فعلى سبيل المثال يرى الأصفهاني أنه لا مانع من أخذ الرواية الشفهية إذا كانت "منتخلة" من غرر الأخبار، ومنتقاة من عيونها، ومأخوذة من مظانها، ومنقولة من أهل الخبرة منها[٣٣].

لقد كان الأخباريون الأوائل على حق في وضع شروط لقبول الروايات الشفهية وذلك تحاشياً لعمليات الوضع والتزييف التي بدأت تأخذ طريقها في ظل وجود الأحزاب والفرق الإسلامية والتيارات المذهبية المتعددة.

وقد أشار المسعودي في مقدمة كتابه إلى ملاحظة أمر الوضع، والتنبيه على مواطن الفساد وقال: وقد ألف الناس كتباً في التاريخ والأخبار ممن سلف وخلف فأصاب البعض وأخطأ البعض، وكل قد اجتهد بغاية إمكانه، وأظهر مكنون جوهر فطنته كوهب بن منبه، وأبي مخنف لوط بن يحيى، ومحمد بن إسحاق والواقدي، وابن الكلبي وأبي عبيد معمر بن المثنى... وغيرهم[٣٤].

إن هذه الحيطة لا تنفي أن نأخذ بالرواية الشفهية، وعلى رأي الكافيجي في كتابه المختصر في علم التاريخ، كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك[٣٥].

وقد اعتمد الرواة بشكل رئيسي على عامل الزمن[٣٦] في بيان صحة الروايات، فقد ذكر سفيان الثوري (ت ١٦١هـ) لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ.

وسأل إسماعيل بن عياش (ت ١٨٢هـ) رجلاً: أي سنة كتبت عن خالد بن معدان فقال سنة ثلاث عشرة ومائه، فقال أنت تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين. وعن سهيل بن ذكوان أن أبا السندي نقل عن عائشة وزعم أنه لقيها بواسط، وهكذا يكون الكذب فموت عائشة كان قبل أن يخطط الحجاج مدينة واسط بدهر.

ولما كانت آفة الأخبار تكمن في رواتها أيضاً، فإن الأخباريين العرب حاولوا قدر الإمكان ضبط هذه الروايات من خلال إيراد أكثر من رواية للخبر الواحد وبأكثر من أسناد لعرض جميع وجهات النظر من الأحداث التاريخية أمام القارئ، خاصة إذا علمنا أن ظهور الأحزاب والفرق الإسلامية قد أدى في

خاصة، وهذا يجب أن يتم وفق المنظور التدويني والشفهي .

إن أهمية الرواية الشفهية تبعث الحياة في الخبر عندما نطلع على الخلفية التي تقف وراءها، لأن التاريخ الحقيقي هو الذي تكمن فيه المرونة والتنوع والاستثارة، فليس للتاريخ إيقاع واحد، أو خطة واحدة، وإنما له إيقاعات وخطط ونماذج .

إن أغلب المؤرخين اليوم يهتمون في التاريخ من واقع كتب تقرأ، أو وثائق تقدم ولكن الحقيقة أن الأشياء التي نراها ونسمعها كلها وثائق تاريخية لا تقل أهمية عن المراسيم والبلاغات والسجلات الحكومية، وهنا تصدق المقولة التي تقول لكل شيء تاريخه . ونستطيع أن نضع نموذجين كشاهد على ما ذكرنا :

الأول : التاريخ الاجتماعي، فالحياة اليومية للناس تحمل في طياتها صوراً متعددة، تتمثل في العلاقات الإنسانية والظروف الاقتصادية، وطبيعة حياة الأسرة والحياة المنزلية، وظروف العمل، والعلاقة بين الأفراد والجماعات، وثقافة المجتمع، وموقفه من السلطة الحاكمة . . . إلى غير ذلك من الأمور . فهذه الصور إن لم تكملها الروايات الشفهية يصبح التاريخ منهجاً غير متكامل .

ويؤكد ذلك تريفليان حيث يقول : بدون التاريخ الاجتماعي يصبح التاريخ الاقتصادي عقيماً، ويصبح التاريخ السياسي غير قابل للاستيعاب . . . يتحرك التغير الاجتماعي كما قد يتحرك نهر تحت الأرض يتبع سنن التغيرات الاقتصادية أكثر مما يتبع اتجاه الأحداث السياسية التي تتحرك فوق سطح الحياة . والسياسة هي مصدر التغير الاجتماعي أكثر مما هي ثمرته . فرئيس جديد، أو حكومة جديدة، أو برلمان جديد كثيراً ما يميز عهداً جديداً في السياسة ولكنه قلما يؤثر في حياة الناس[٤٣] .

والثاني : التاريخ الدبلوماسي، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل تصدر في أحوال عديدة أخبار مضللة سواء لكسب عواطف الناس، أو للخوف من تحرك الجماهير، فتأتي الرواية الشفهية لتضع الأمور في نصابها الصحيح . ويمكن للمهتمين متابعة ذلك من خلال

الدبلوماسية العربية وارتباطها مع الدبلوماسية الغربية، ولا أريد ضرب أمثلة لذلك .

نخلص مما تقدم إلى أن المؤرخ في حالات كثيرة بحاجة إلى مصادر مساندة لدراسة الوثائق المدونة، وتأتي الرواية الشفهية لتكون خير معين لتحقيق ما يلي[٤٤] :

- ■ الوصول إلى مصادر جديدة (عدد من الرواة والروايات) .
- ■ الاستدلال بها على كيفية قولبة الدليل المعاصر والشاهد على الحدث .
- ■ الوصول إلى تفسيرات غامضة .

وإذا كان العرب المسلمون قد وضعوا أسس الرواية الشفهية وطرق اعتمادها، إلا أنهم مع مرور الزمن أخذوا يميلون إلى المدونات أكثر من اهتمامهم بالروايات الشفهية، إلا أن الصورة بدأت تتغير بصورة واضحة منذ مطلع النصف الثاني من القرن العشرين . ويبدو أن الغرب كانوا السباقين إلى هذا الميدان حيث أسس بجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة مركز لجمع وتوثيق وذكريات وتجارب الشخصيات الهامة في الحياة الأمريكية سمي مشروع ألن نيفنز .

وجاء بعد مشروع جامعة كولومبيا، الجمعية الأمريكية للتاريخ الشفوي، ومجلة جمعية التاريخ الشفهي البريطانية[٤٥] . لقد صدر العديد من الكتب في الولايات المتحدة الأمريكية، معتمدة على الروايات الشفهية ومعظمها ركزت حول مساهمات الأشخاص في مجالات السياسة والفكر والاقتصاد . ومن أمثلة ذلك :

- ■ Hoopes, J : Oral History, an Introduction for Students. The University of North Carolina Press. Chapel Hill.
- ■ Vancina, J. Oral Tradition as History, The University of Wisconsin Press, Madison 1998.
- ■ Ladjevardi, H. Reference Guide to the Iranian Oral History, Collection. Harvard University 1980.

أما البريطانيون فقد وظفوا التاريخ الشفهي في دراسة التاريخ الاجتماعي

البعض مع ملاحظة عدم توجيه أسئلة من شأنها أن تشكك في صدق الراوي، أو تستفزه أو تقاطعه : وعلى الباحث أن يركز على البعدين الأساسيين في الحدث التاريخي وهما البعد الزماني الذي يهتم بتاريخ الحدث ووقت وقوعه . والبعد المكاني الذي يهتم بمكان وقوع الحدث .

٢ - **اختيار الرواة** : والرواة هم الأشخاص الذين ستتم مقابلتهم، وعلى الباحث تقسيمهم إلى مجموعات مختلفة، أما بالنسبة للسن، أو الأحزاب السياسية، أو الموظفين، أو العامة من الناس، وكلما كثرت التقسيمات، وأخذت من كل قسم عينة كلما سهل على الباحث تكوين فكرة عامة عن الحدث وخاصة من المعارضين السياسيين .

٣ - **تجهيز أدوات المقابلة** من حيث أدوات التسجيل والأشرطة، ومع تطور وسائل التكنولوجيا يمكن استخدام الفيديو بحيث يظهر الصوت والصورة، وهذه ستكون أثبت لعدم النفي فيما بعد .

٤ - **توثيق المقابلة وعدم الاعتماد على الذاكرة** بحيث يذكر اسم الشخص ووظيفته، ومكان إقامته، وتاريخ المقابلة وموضوعها، ومدة التسجيل .

٥ - **تفريغ التسجيلات وكتابتها بنفس الألفاظ التي وردت فيها**، ثم مقارنتها بعد الانتهاء منها مرة ثانية مع المسجل تلاشياً لوقوع خطأ أو تحريف في الروايات .

٦ - **حفظ التسجيلات والأفلام والأشرطة وفق فهرسة واضحة وسهلة حتى يمكن للباحثين الوصول إليها .**

وفي نهاية هذا العرض لابد من الاعتراف بأن للرواية الشفهية بعض السلبيات التي تتعلق بنسيان الرواة واختلاط الأخبار، وتدخل النزاعات والميول والأهواء التي تغلب على النفس البشرية فتفسر الأخبار كما تشاء، إلا أن هذه السلبيات تقل كلما كان المؤرخ مدركاً لما يقوم به، عارفاً بالمنهج التاريخي .

ورغم ذلك يبقى رأي السبكي في المؤرخين قائماً عندما قال في كتابه معيد النعم : "وهم، أي المؤرخون، على شفا جرف هاو لأنهم يتسلطون على

أعراض النـاس، وربمـا نقلـوا مجـرد مـا يبلغهم من كاذب أو صادق" .

إن رأي السبكي هذا قد ينطبق على المؤرخ غير المدقـق، أمـا المـؤرخ الحـق فهو الذي ينتقل من حـدث إلـى حـدث ويـرى أنماطـاً، ويسـمع أسـاليب تعبـير جديـدة، ويوسع إدراكـه بتـأمل أشـكال كثـيرة مختلفـة مـن القوانيـن والأحـداث والمؤثرات الفكرية والعادات المرئية .

إن فقدان الروايات الشفهية سـوف يـؤدي إلــى زوال كثـير مــن جوانــب الحقيقة مما يجعل المؤرخ غير قادر على إقامة جسر متين مع الأحداث المدونة . وهذه تجعل المؤرخ لا يقتـع بملاحظـات الدولة ومراسيمها ووثائقـها فحسـب بـل ينبغـي أن يختلـط مـع الجمـاهير فـي الشـوارع والمقـاهي والأمـاكن العامـة والملتقيات الأدبية والسياسية فمن يرغب في الكشف عن الحقيقة لابد مـن السير على هذا الهدى .

أ.د. محمد عبد القادر خريسات

رئيس قسم التاريخ / الجامعة الأردنية

٣٢ – موافي، النقد التاريخي، ص ٤٧، الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ١٦٢ (طبعة الهند) .

٣٣ – الأصفهاني، الأغاني، ج ١ – ٢ (بولاق)، روزنتال، علم التاريخ، ص ٤٧ .

٣٤ – المسعودي، مروج الذهب، ج ١٢/١ .

٣٥ – روزنتال، علم التاريخ، ص ٣٤٨ .

٣٦ – أنظر : السخاوي، شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق روزنتال، بغداد، ١٩٦٣، ص ٢١ – ٢٢ .

٣٧ – لمزيد من التفاصيل، أنظر : قحطان الدوري، أصول تلقي العلوم في المجتمع الإسلامي مجلة تعليم الجماهير، ع ١٤، السنة السادسة، ١٩٧٩، ص ١٤ وما بعدها .

٣٨ – لمزيد من التفاصيل، أنظر : لانجلو أوسينويوس، النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (١٩١٨ – ١٩٣٩)، ص ٧٨ .

٣٩ – أنظر : محمد خريسات، الأردنيون والمواقف الوطنية والقومية (١٩١٨ – ١٩٣٩)، دراسة في الموقف الشعبي الأردني، عمان ١٩٩٢، ص ٥ .

٤٠ – الهاشمي بالخير، عامل الدقة في الرواية الشفوية، مجلة البحوث التاريخية، ع ١٩٨٤/١، ص ٦٢ .

٤١ – ألبان ج . ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان، قرقوط، دار العلم، بيروت، ص ٩ .

٤٢ – أ. ل. رواس، التاريخ أثره وفائدته، ترجمة مجد الدين ناصف، سجل العرب، ص ٢ .

٤٣ – رواس، التاريخ أثره وفائدته، ص ٦٨ .

٤٤ – لويس جو تشلك، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة عارف وأحمد أبو حاكمة، دار الكاتب العربي بيروت، ١٩٦٦، ص ١٣٥ .

٤٥ – عادل يحيى، التاريخ الشفوي، ص ٢ .

٤٦ – المصدر السابق، ص ٦ .

٤٧ – المصدر السابق، ص ٦ .

٤٨ – عامل الدقة في الرواية الشفوية، ص ٦٢ .

٤٩ – Alan, Ostar, The Arabs In Tripoli, London, 1912 .

٥٠ – الهاشمي، عامل الدقة، ص ٦٩ .

٥١ – عادل يحيى، التاريخ الشفوي، ص ٦ .